72336—73864

REGD. NO. LW/NP 59

MAJALLAH **ALBAAS-EL-ISLAMI** (MONTHLY)

JUNE - JULY — 1995

صدر حديثاً :

ظفر الأمانى

فى

مختصر الجرجانى

للامام أبى الحسنات محمد عبد الحى بن عبد الحليم اللكهنوى

(١٢٦٤ — ١٣٠٤هـ)

و قد قام

بالتحقيق و التعليق و تخريج النصوص

سعادة الدكتور تقى الدين الندوى

أستاذ الحديث و علومه فى جامعة الامارات العربية المتحدة .

و اهتم بنشره و إخراجه :

سعادة الأستاذ محمد على دولة صاحب دار القلم ، بتعاون من

مركز جمعة الماجد للثقافة و التراث بدبي (دولة الامارات العربية المتحدة)

يطلب الكتاب من :

دار القلم للنشر و التوزيع : ص. ب ١١٨١٧ - دبي

(دولة الامارات العربية المتحدة)

و من الجامعة الاسلامية قلندر فور - أعظم كره (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة آزاد أوفست لكناؤ

من مؤسسة الصحافة والنشر ، ندوة العلماء

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء لكهنؤ الهند

العـــدد السادس — المجلد الأربعون

ربيع الأول ١٤١٦هـ — أغسطس ١٩٩٥م

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية

تصدرها

مؤسسة الصحافة و النشر

ندوة العلماء - ص.ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشـــأهـــا :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني رحمه الله

في ١٩٥٥م ١٢٧٥هـ

البعث الإسلامي

العدد السادس

المجلد الأربعون

رئاسة التحرير :

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

ربيع الأول ١٤١٦هـ

أغسطس ١٩٩٥م

عنوان المراسلات :

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر ص. ب ٩٢ لكناؤ - الهند

ALBAAS-EL-ISLAMI C/o. Nadwatul Ulama
P. O. Box. 93. Lucknow (INDIA)

حضرات أخواننا القراء !

أحييكم بتحية الاسلام و أحمد الله على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة والفكر وفى مجال البعث الاسلامى ، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تجتاز عامها **الأربعين** ، راجياً من الله سبحانه أن يتكرم بالتأييد الدائم لنا بروح من الاستقامة والصمود ، والثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تجتازها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم و شريعتهم ورسالتهم العالمية .

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها و يسر بها القارىء الكريم ، و لا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال ، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن .

و التحديات تتجدد كل يوم ، وهى تنذر بشر مستطير ، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل .

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : مأة روبية ثمن النسخة عشر روبيات :

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم .

٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى .

و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك :

باسم (ALBAAS-EL-ISLAMI)

بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى .

(مؤسسة الصحافة والنشر)

ندوة العلماء ص . ب ٩٣

لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWAT UL ULAMA
P. O. Box : No. 93.
Lucknow. (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها .

محتويات العدد

الافتتاحية : ٣

من الغزو الفكري إلى الإرهابية — سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي :

واقع العالم الإسلامي وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ١١

الثقافة ليست عالمية — سعادة الأستاذ أنور الجندي ١٧

الدعوة الإسلامية : ١٩

الرزق من الله — الدكتور محمد بن سعد الشويعر

الفقه الإسلامي : ٣٠

الزكاة وأهميتها في الإسلام — الأستاذ عتيق أحمد القاسمي

دراسات و أبحاث : ٤٣

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه — الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي ٥٣

كلمة اعتراف وتقدير — الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي

أعلام التاريخ الإسلامي : ٦٠

السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد الشيخ سعيد النورسي ودوره في إنقاذ تركيا — الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم

رجال فقدناهم : ٦٨

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الدكتور نجيب الكيلاني — الدكتور حلمي محمد القاعود ٧٧

فضيلة الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي — س. الأعظمي ٨٤

صور و أوضاع :

ازدواجية أم تحوير

أخبار اجتماعية وثقافية : ٨٧

واضح رشيد الندوي

دار العلوم الإسلامية بأمريكا — الدكتور محمد خوث الندوي ٩١

بمناسبة يوم القدس والعام الهجري الجديد — بيان لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ٩٤

لقاء مع رئيس وزراء الهند — البروفيسور محمد يونس النجرامي ٩٩

صحيفة أسبوعية إسلامية باللغة الهندية ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية :

من الغزو الفكري إلى الإرهابية

كان الغزو الفكري في سابق عهده يعبر عن توجه خاص من الغرب نحو بلدان المسلمين ، وإن كان أصحابه يسمون ذلك رفدًا حضاريًا يمنون به على المسلمين الذين يعيشون في « تخلف حضاري » يعوزهم الفكر العام الحديث ، وينقصهم الأسلوب الجيد للعيش في ظل الفلسفات الحضارية المعاصرة ، فتقدم الغرب بعدته وعتاده نحو مجتمعات المسلمين لكي يزودها بأساليب الحياة ويوحى إليها بالمسار الصحيح الذي يجب أن يتبنّاه الإنسان للوصول إلى غاية من السعادة والهناء .

ولكن الواقع كان على عكس ذلك ، وهو أن هذا الغزو الفكري ما توخى إلا هدم المقاييس الخلقية القديمة التي أتى بها الدين واستبدالها بمقاييس مادية خلابة ، يغترّ بها الإنسان ويأخذها على ثقة في غنائها ، وانسجامها مع الحاجات العصرية التي لا يكاد يستغنى عنها في العصر المتطور فكريًا وحضاريًا . لقد كان يماثل هذا الغزو التسميم البطيء للعقول وتلقيحها بفكر مضاد للقيم الخلقية الإيمانية ، بحيث لا يتفطن إليه المرء ويتغافل سريان الفساد ببطء في الشرايين والعروق ، وفعلا ظهرت له نتائج وخيمة في أوساط الشباب والمثقفين بوجه خاص ، أولئك الذين تغيرت أفكارهم الدينية وبدأوا ينظرون إلى الإسلام من خلال منظار الفكر الغربي المادي الذي روّجه الغرب في شكل جذاب من غير أي

إشارة إلى تناقضه مع الفكر الإسلامي والبعد الشاسع بينهما .

وما زال الكتاب الغربيون يحشرون أفكارهم بطريق المؤلفات والإصدارات وبواسطة أجهزة الاعلام نحو مجتمعات المسلمين ويتصيدون شبابهم الفج وأنصاف المثقفين في الماء العكر ، وظلوا يتدرجون في هذه العملية ويصعّدونها بوسائلهم المتوافرة لديهم حتى يتمكنوا من إثبات « عالمية » الفكر الذي يحملون رايته والثقافة التي يصطنعونها في مجال تحوير العقول والأفكار وتعديل الطبيعة الحضارية التي يجود بها الإسلام .

لقد كان من حكمة الغرب التي اتخذها في هذا الغزو أن يتظاهر عطفه على الإسلام ويثني على دعوته التي لم تعتمد في أي حال على السيف أو أسلوب الإكراه في نشرها ، كما يقول بذلك المتسرعون من أهل الغرب ممن لا يرون مراعاة جانب الحكمة واللين في قضية الإسلام أمرًا لازمًا ، ولكن المفكر الغربي الذي يصرح بأن الإسلام لم ينتشر بقوة السلاح وأسلوب الإكراه ، فإنه يمهد الطريق نحو استمالة القلوب وكسب التأييد والموافقة على ما يقول ، من طبقة كبيرة من المسلمين أنفسهم ، وإن كان الفكر الغربي الصليبي لا يداهن في ذلك ويقول بكل صراحة : إن الإسلام فرض على المجتمعات البشرية بقوة السلاح ، ويستدل على ذلك بالغزوات الإسلامية التي لم تكن إلا حرب دفاع تقوم على العدل والرحمة لا حرب استعلاء تنبع من الجور والطغيان ، والذين أقبلوا على دين الإسلام واختاروه منهجًا للحياة لم يفعلوا إلا بطواعية من أنفسهم ، وبعد التجارب التي مروا بها خلال معايشتهم مع المسلمين ، وحينما تبين لهم الرشد من الغيّ « لا إكراه في الدين ، قد تبين الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » .

لقد تفشت ظاهرة اتهام الإسلام بالأصولية والمسلمين بالعنف والإرهاب ، على أن من المعلوم المقرر الذي لا غبار عليه أن الحضارة الغربية المادية هي أولى بهذه الألقاب ، وهي التي تقدس الجذور البالية ، ففي الغرب اليوم تبلغ هذه القدسية إلى حد العبادة وتنال أهمية كبيرة بين جميع الطبقات ، ولا أدلّ على ذلك من المتاحف التاريخية التي تشمل نماذج وأجزاء الحضارات البائدة والآثار البالية والأجسام العفنة ، كما أنها تقدس الشخصيات التي عاشت الفلسفات المادية ودعمتها بالقول والعمل ، والغرب لا يدخر وسعًا في الحدب عليها بكل ما يوجد لديها من رطب ويابس ، وحابل ونابل ، أما العنف فلم يكن له أي مكان في حضارة الإسلام ولا عرف المسلمون هذا العنصر الموبوء في تاريخهم ، وإن تعاليم الإسلام كلها تتجه إلى اتخاذ اللين والحكمة والموعظة ومكارم الأخلاق في جميع شئون الحياة والمجتمع ، وكذلك الإرهاب ذلك العنصر الجديد الذي أصبح جزءًا للفلسفة المادية الغربية ، لا شأن له في الإسلام وحضارته التي هي حضارة تقوم على أساس من التسامح والمرونة في مواجهة التعصب البغيض الذي تتأسس عليه حضارة الغرب .

إن حضارة الغرب ليست أصيلة في ذاتها وإنما هي مقتبسة من حضارة الإسلام ، إلا أنها استبدلت روحها الإيمانية ، بالعلمنة المادية ، وأحلت النفس الإمارة بالسوء محل الإله في حضارة الإسلام ، واستغنت بعد ذلك عن جميع القيم الإنسانية الرفيعة ، وحاولت قطع صلة الإنسان عن ربه الكريم ، وتحوير علاقته الإيمانية بالعلاقات المادية الرخيصة ، ومع ذلك فقد أصرّ الغرب على أن يصفها بالأصالة ، وألحّ على أن يفرضها على جميع المجتمعات الإنسانية ، ولا سيما على المسلمين وبلدانهم ، واختار لتحقيق هذه الحاجة طريق الاستعمار العسكري والسياسي ، وبالتالي

أسلوب الغزو الفكري ، ثم تدرج اليوم إلى تنفيذ إرادته بالعنف والإرهاب والاضطهاد ، والتهديد بتصفية الوجود وتسليط أسواط العذاب بصفة مستمرة وبغاية من القسوة ، ولكن هذه العملية لم تكن تستطيع أن تدوم إلى وقت طويل ، فكان لابد من انتقال إلى أسلوب آخر ، أكثر تأثيرًا وأضمن للنجاح في مجال إذابة الشخصية الإسلامية .

من ثم ينتقل الغرب المعاصر إلى تغيير الاستراتيجية وتعديل خط الهجوم على الفكر الإسلامي ، الحضاري ، وتساعده في ذلك الأمم المتحدة والمعسكرات العالمية الكبرى .

وذلك باسترعاء الرأي العالمي إلى هدم المعالم الحضارية التي هي بمثابة الأساس للحياة الإسلامية ، بواسطة المشروعات العلمية والفكرية التي يضعها أهل الغرب الماديون ، ويريدون أن ينفذوها في دول وبلدان المسلمين بعنف تارة وبأسلوب القهر تارة أخرى ، وقد توصلوا في سبيل تنفيذ هذه الخطة إلى عقد مؤتمرات عالمية باشراف أكبر مؤسسة سياسية بحتة ، فمؤتمر الشمال والجنوب لا يكاد يتناساه الناس ، وقد كان محاولة لصرف التوجهات من المشكلات الرئيسية إلى قضايا لا تهم الناس .

ولكن مؤتمر السكان والتنمية الدولي كان نتيجة لتخطيط دقيق ضد القيم الخلقية والفضائل الإنسانية بأسماء ولا فتات جذابة من المساواة والتطوير وحقوق الإنسان ، ومن وراء ستار التنظيم الأسرى والتنمية الحضارية ، لقد كان هذا المؤتمر محاولة جادة وأسلوبًا فلسفيًا خالصًا لتعطيل النظام الشرعي وإحباط توجيهات الشريعة الإسلامية في شئون الحياة الاجتماعية والعائلية التي تكيّف الحياة بالأوضاع الطبعية وتنظم علاقاتها في ضوء الفطرة ، ذلك لكي يعرف الناس أبعاد المسئوليات

الفردية والجماعية نحو تعيين الحدود والآداب القانونية بين الرجل والمرأة ، وبين الوالد والولد ، والأخ والأخت ، وبين المراهقين والمراهقات في داخل الأسرة وخارجها على السواء .

سبقت منا الإشارة إلى الغرض الذي عُقد من أجله هذا المؤتمر في عدد سابق من هذه المجلة ، جاء فيه ما يأتي :

هذا المؤتمر إيذان بما تزمع عليه الدول الغربية من فرض فلسفاتها الحضارية وتفسيراتها المادية على الحياة والمجتمع ، وما تتمناه من القضاء على التميزات الدينية والقيم الإسلامية في البناء الأسرى والاجتماعي ، إن هذا الواقع يدعو علماء المسلمين وطبقة الدعاة والمفكرين منهم إلى وضع خطة واضحة شاملة تبين التعريفات المحددة والمفاهيم المعلومة للعائلة والبناء الأسرى والحياة الاجتماعية في الإسلام ، وتؤكد أنها لا تقبل أي تغيير أو تطوير في أيّ حال ومجال ، لأنها من وحي الشريعة والعقائد الإيمانية التي لا خيار فيها لأيّ شخص مهما كانت مكانته ، حتى وإن كانت جماعة من المؤمنين ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم • ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبينًا ﴾ .

ولا ينبغي أن نصرف النظر عن مؤتمر كوبنهاجن الدولي الذي عُقد في شهر مارس على مستوى رؤساء الدول وقادتها لدراسة أمور متماثلة من التنمية الاجتماعية وتطوير الوسائل الإنمائية والاقتصادية وما إليها ، وهو سلسلة من المشروع الغربي الذي يستهدف الفكر الإسلامي ، وإخضاعه للأدوات والوسائل المادية ، وتحت قهر الفكر الحضاري الجديد الذي يتوجه بالحياة إلى الاصطباغ بصبغة زائلة من الأساليب غير المشروعة

في حضارة الإسلام ، بل وقد يكون اعظم هدف لديه ترويج الربا والأكل بالباطل الذي لا مكان له في منهج الإسلام بأيّ حال .

ويأتي في الأخير الإعدادات اللازمة التي تجرى لعقد مؤتمر «المرأة» باشراف الأمم المتحدة ، الذي كان من المزمع عقده في شهر مايو المنصرم وفي بكين في الصين ، إلا أنه نظرًا إلى أهميته الكبيرة وفاعليته الواسعة أخّر موعده إلى عدة أشهر قادمة ولعل شهر سبتمبر القادم يكون مناسبًا لهذا المؤتمر الدولي الكبير الذي يعتبر أول مؤتمر من نوعه في هذا الموضوع ، وذلك :

لأن المرأة أصبحت اليوم موضوعًا مهمًا للاهتمامات الغربية التي توصلت أخيرًا إلى حتمية التركيز على هذا الموضوع ، وإعطائه العناية البالغة والاهتمام الزائد في ضوء الرؤية الحضارية الحديثة التي تعتبر المرأة عضوًا أساسيًا في بناء الهيكل الحضاري ، لا يقل في الفاعلية والتأثير من الرجل ، بل وقد تتكاثر الحاجة إليها في دفع عجلة الحياة الاجتماعية إلى الأمام ، وفي بناء المجتمع الحضاري ، بالنسبة إلى الرجل الذي تشغله مهام الحياة ومسئوليات الكسب والمعاش على مستوى عام ، وإن أصحاب هذه الرؤية لا يقصدون بذلك إلا إخراج المرأة عن ذلك السور المنيع الذي تعده لها الأسرة ، وإلقاءها على الشارع ، لكي تجعلها الوحوش الضواري من البشر لقمة سائغة للغرائز الجنسية ، وتخلعها من لباس الحشمة والعفة وترميها على قارعة الطرق من غير رحمة ولا هوادة .

ومن قبل أن يعقد هذا المؤتمر أصبح حديث المجالس ، وموضوع الأوساط النسائية في العالم التي تراه مفخرة لجنسها ، وتعد للمشاركة فيه بعددها وعددها ، وليت مرأة اليوم - وخاصة مرأة الغرب والدول

المادية - فكرت في المآل المشئوم الذي وصلت إليه في حضارة الغرب ، حينما أوقفتها بجنب الرجل على السواء ، ولم تقرّ بأيّ فرق بينهما في المسئولية والعمل ، وخلعت عنها لباس الحشمة والحياء ، وعرضتها كمتاع رخيص لإشباع الغرائز الجنسية في سوق « المناداة » أو بيع الأعراض ، التي تقام في كل مكان .

أصبحت المرأة اليوم ضحية الحضارة المادية فانحسر ظلها وقصرت قامتها ، ورخصت قيمتها ، وتعرضت من أجلها لمشكلات كثيرة فردية وجماعية تعيشها وتعاني منها على جميع المستويات ، ولا نعتقد أن مؤتمر المرأة العالمي القادم سوف يتخذ قرارات لإعطائها ما تستحقه من أهمية أساسية في البنية الإنسانية ، وتعين لها مسارها الطبيعي الذي إذا حادت عنه فقدت جوهرة العفة والجمال والرقة والأنس ، وعادت بهيمة تساق بعنف ، وتذاق كل جور ، وتمزق كل ممزق .

إنه الإسلام الذي خلع عليها لباس الاحتشام والزينة وجعلها سيدة في بيت زوجها ، ورفع قيمتها أمًا وزوجة وأختًا وبنتًا ، وعين وظيفتها في تربية الأولاد وتنظيم شئون الأسرة وتدبير المنزل ، وتحسين العلاقات الاجتماعية بين الأقرباء وذوى الأرحام ، ففي ضوء تعاليم الإسلام وحدها تستطيع أن تؤدى دورها المرجو في مجالاتها ، وتسبب السعادة والهناء ونشر الأخلاق الفاضلة في وسطها الذي تعيش فيه ، وقد قال الرسول -ﷺ- : كلكم راع وكلم مسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده وهو مسئول عن رعيته .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

واقع العالم الإسلامي

وما هو الطريق السديد لمواجهته وإصلاحه

[الحلقة الثانية]

سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

وأريد أن أقول : إن الواقع الرهيب الذي نواجهه الآن ونشعر بخطره على وجود الإسلام والمسلمين كأمة ذات رسالة وعقيدة ودعوة وشرف وحرية ، هو أن الذكاء اليهودي والشطارة اليهودية ومراميها لبسط نفوذها على العالم وتحويل العالم كله - بما فيه من عقائد وآداب وحضارات وقيم ومعايير - إلى بساط للشطرنج يلعبون عليه بحرية ويستطيعون تحويل ما عليه من دمى ولعب من جانب آخر ، ومعاملة الجيل البشري بكل ما فيه من علماء وعقلاء وأدباء ومفكرين ومؤلفين إلى جيل خاضع للنفوذ اليهودي خضوع الدواب والجمادات ، وهذا ما جاء صريحًا و واضحًا في كتب اليهود وكتاباتهم ، يعرفها المطلع على كتبهم ومخططاتهم ومطامعهم وبرامجهم ، التقى هذا الذكاء الذي يعرف به اليهود قديمًا واستباحتهم لكل منكر ومستهجن في سبيل تحقيق غاياتهم ، وقد أشار إليه القرآن إشارة لطيفة وجاء ذلك صريحًا في الكتب التي نشرت عن أهداف الصهيونية ومراميها أخيرًا ، التقى هذا الذكاء والتخطيط والرهيب الدقيق المبيد للفضائل الإنسانية ومساعى الأنبياء والمصلحين وتعليمات الدين ، مع القوة المسيحية و وسائلها وإمكانياتها

رغم وجود أكبر تناقض في الديانتين ، فالمسيحيون يؤمنون بأن المسيح ابن الله ، واليهود يتهمونه وأمه وينسبون إليهما ما يعلمه الجميع .

وقد احتضنت ذلك وتبنته بعض الدول المسيحية الغربية ، وعلى رأسها الحكومة الأمريكية ، وذلك بانخداع أكثرها و وقوعها فريسة للنفوذ الإسرائيلي المهيمن على السياسة والصحافة والآداب و وسائل الإذاعة في أمريكا وخارجها ، فأصبح ذلك محاولة إبادة معنوية خلقية عقائدية بالنسبة للمسلمين بصفة خاصة ، لأنهم هم وحدهم أصحاب دين خالد عالمي قوي ، وأصحاب حكومات كثيرة ، ولا يزالون أصحاب قوة إيمانية ودوافع إصلاحية ثورية فكانوا هم الخطر الأكبر على هذا المخطط اليهودي المسيحي وعائقًا أكبر في سبيل تحقق أماني اليهود ونجاحها .

وكان من ضمن تلك الجهود والمؤامرات والمخططات القضاء على قوة المسلمين الإيمانية والمعنوية ، وفي مقدمتها محاولة القضاء على شخصية الأمة الإسلامية المميزة ورسالتها ، بالدعوة إلى التجرد من المبادئ الدينية ، والقيم الخلقية ، والميزات الإيمانية ، فتعيش حياة جاهلية كالجاهية الأولى أو كحياة الدواب والانعام في غابة أو صحراء .

ثم استعانت أخيرًا بالدعاية ضد التنمية التي عرف بها المسلمون بصفة خاصة بفضل تعليماتهم الدينية الطبعية ويشكلون بذلك خطرًا على الجبهة المعادية لهم ، والقوة العمرانية والمدنية والعسكرية ضد الجبهة اليهودية والمسيحية ، فبدأت بعض القيادات المتآمرة والمؤتلفة ضد مستقبل الإسلام والمسلمين وقوة المقاومة التي يملكونها باقناع بعض الحكومات الإسلامية والقيادات المسلة بوضع العوائق والعراقيل في سبيل التنمية في الأقطار الإسلامية ، هذا إلى غير ذلك من المخططات والمؤامرات الدقيقة التي تحاك للتخلص من نفوذ المسلمين المعنوي

والعددي والمبدئ والعقائدي .

فليكن المسلمون بصفة عامة والحكومات والقيادات المسلة بصفة خاصة على حذر من هذه المؤامرات والمخطط التدميري ويكونوا على بينة من الأمر ﴿ ولله الأمر من قبل ومن بعد ﴾ وما علينا إلا البلاغ .

هذا واقع العالم الإسلامي الذي يجب أن يتغير ، وفي صالح الإنسانية أن يتغير ، وفي صالح مصير الإنسانية أن يتغير هذا الواقع ، ويرجع العالم الإسلامي إلى ما كان عليه في قرون مشهود لها بالخير في زمن عظمة الإسلام ومجده ، ولا خير ولا لذة في الحياة ما دام العالم الإسلامي هكذا ، ولا لذة للتذ ، ولا عزة لمعتز ، ولا قوة لقوى ، إذا كان العالم الإسلامي بهذه الصفة .

وقادة الأقطار الإسلامية السياسيون ، وحكام البلاد الإداريون مخيرون بين سياستين ومنهجين للعمل :

الأول : أن يثبتوا غيرتهم على الإسلام وتمسكهم به ودفاعهم عنه ، وإيثارهم له ، على ديانات أخرى ، ومناهج أخرى للعقيدة والسلوك ، والقيم والأقدار والمبادئ ، والحضارات مع الاستعداد للانتفاع بالعلوم العصرية والاكتشافات الحديثة ، والتقدم العلمي والصناعي « والحكمة ضالّة المؤمن حيث وجدها فهو أحق بها » وتطوير النظام التعليمي ، والصناعي ، حسب مقتضيات الزمان ، وبمقابلة العلم بالعلم ، والقوة بالقوة والصناعة بالصناعة .

وبهذا المنهج للقيادة ، والإدارة ، والسياسة ، وبهذا الموقف الهادئ الحكيم ، المؤسس على الإخلاص لله وخشيته ، ومجاراة الأمة في مشاعرها ، ومراعاة ما تدين وتتفانى في سبيله وتغار عليه ، والاعتراف بالحقيقة والواقع ، وعدم إضاعة القوة والوقت في تحصيل ما يثير سخط الأمة وما

يفقد ثقتها وما يستنفد القوى والطاقات في غير طائل ، يحرز هؤلاء القادة والحكام ، بحسب السنة الإلهية والوعود القرآنية ، وما تحقق وثبت بالتواتر في التاريخ الإسلامي القيادي ، حبًا وإخلاصًا ، وتفانيًا وتفانيًا من الشعب المسلم ، وأهل البلاد المسلمين « الذين يكونوا الأكثرية ويملكون النفوذ والتأثير » والتأييد التام والتحمس العام في تحقيق مطالبهم ، وتحقيق غاياتهم ، والحرص على بقائهم في مراكز سلطتهم ، ومكانتهم في القيادة والزعامة يحرزون إخلاصًا وتحمسًا ، لا يجدونهما عن طريق الإرهاب أو الترغيب والمراقبة والتفتيشات ، والعقوبات والاعتقالات ، وحتى عن طريق تأييد الحكومات الأجنبية والأساليب الاستراتيجية ، وعن طريق الصحافة والإذاعة ، والنشر ، والدعاية ، وصدق الله العظيم .

﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم ﴾ [سورة الأنفال ، الآية : ٦٢] وبذلك تتفادى البلاد الكثيرة من المؤامرات والمشاغبات ، وبذل القوة والجهد في القضاء على المخالفات والثورات ، وعلى وجود القلق وعدم الارتياح في نفوس عدد أكبر من أفراد الشعب المسلم وعدم وجود التحمس في نفوس الأكثرية من الشعب لمقاومة هجوم أجنبي أو غارة خارجية .

أما إذا كان الواقع ضد ذلك ، وكان بين القادة والحكام وبين أفراد الشعب - الذين يشكلون الأكثرية ، وعليهم العمدة في الأمن والرفاهية والأزمات والخطوب - خليج عميق واسع في الاتصال بالدين وحبه والغيرة عليه والحرص على تطبيقه في الحياة وتنفيذه في المجتمع والحكومة ، بل كانت هنالك مظاهر وإمارات خفية أحيانًا وجلية أحيانًا أخرى ، في عدم ارتياح هؤلاء القادة والحكام لتعاليم الدين الإسلامي

الحنيف ، وتخوفهم من نفوذه وسيطرته على نفوس الشعب وعقوله ، واشفاقهم من تحمس الشعب الديني وغيرته عليه ، والمناداة به ، والمطالبة في بعض الأحيان بتنفيذ بعض أحكام الشريعة الجلية الرئيسية ، أكثر من إشفاقهم من تهديد عدو في الخارج ، وتحد أجنبي ، وقد يكونون في بعض الأحيان منفذين لإشارات من دولة أجنبية كبيرة ، مرددين لصوتها ، محققين لغرضها ، كالتخوف من التمسك بالمبادئ ، أو المبدئية والأصولية FUNDAMENTALISM الذي يدخل فيه التمسك بتعاليم الإسلام والوقوف عند حدوده ، وأوامره ، وتحليل ما أحل وتحريم ما حرم ، فيكون في ذلك وجود قلق وعدم ارتياح ، وصراع فكري وشعوري في الشعب ، كانت الشعوب الإسلامية والبلاد الإسلامية في غنى عنه .

وبهذا التباعد بين القيادات والسلطات ، والشعوب والجماهير تنشأ فجوة عميقة واسعة بين القادة والحكام ، وأهل البلاد المسلمين الغيارى على دينهم والمحبين لوطنهم ، وعدم تفاهمهم - فضلاً عن عدم تعاونهم - لا يملأ هذه الفجوة أكبر مجهود أو تأييد من حكومات أجنبية ، وتفقد بذلك القيادات والسلطات أعظم ثروة وأكبر قوة ، هي بذل النفس والنفيس في سبيل الله والاستماتة في سبيل تحقيق ما يريده الله ورسوله ومن وفاء للأئمة المسلمين وقادة البلاد والحكام المخلصين الصالحين ، وهي قوة أبدت العجائب والخوارق في تاريخ الإسلام الطويل الحافل ، وأخضعت البلاد والأقطار التي لا نسبة بينها وبين البلاد الإسلامية في العدد والعدد ، والقوة العسكرية للإسلام أو الدين الإسلامي أو الحكم الإسلامي ، وهي قوة لا تزال موجودة في نفوس المسلمين وفي الأقطار الإسلامية - على علاتها ومحنها أو مؤامرات حيكت حولها -

ويمكن الاستفادة منها وتسخيرها لغايات لا تعود على هذه الأقطار الإسلامية بل تعود على العالم المتمدن المعمور بخير لا يعدله خير ، وبسعادة لا تساويها سعادة .

فهل من المعقول أن تبقى الأقطار الإسلامية في صراع فكري وعقائدي وقلق شعبي جماهيري ، وعدم وجود ثقة وتقدير ، وحب وتفان بين الشعوب وأهل البلاد الذين لا تزال أكثريتها متمسكة بالدين ، محبة له ، غيورًا عليه ، وبين قادتها وحكامها ، ويكون في هذه البلاد جهاد في غير جهاد ، ونضال في غير عدو ، أم من الخير ، ومقتضى الحكمة والعقل الإنساني - فضلاً عن العقل الإيماني - أن يكون هنالك انسجام وتوافق ، وثقة متبادلة ، بل عاطفة من الفداء والتفاني في تأييد هؤلآء القادة المسلمين الغيارى على الدين ، المجاهدين في سبيله ، الحريصين على بقائه ، وازدهاره ، وانتصاره ، طلبا لرضا الله تعالى ، وإيثارًا للآخرة على الدنيا ، وتقليدًا للخلفاء الراشدين ، والحكام الصالحين والقادة المخلصين ، المجاهدين ، ويتفادوا بذلك عن كل ما هم في غنى عنه ، من صراع وقلق ، وقمع للثورات ، وأمن من تقلب الحكومات ، وتجسس للمؤامرات والمخططات .

وصدق الله العظيم : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة النور ، الآية : ٥٥] .

[يتبع]

الثقافة ليست عالمية

سعادة الدكتور أنور الجندي

تعددت الوسائل والأدوات والمؤسسات التي وجها النفوذ الغربي إلى أفق الفكر الإسلامي ، وخاصة مجال التعليم والتربية باعتبار أن التعليم هو أقوى وسائل تكوين العقل العربي الإسلامي ، وتهدف المخططات الجديدة التي تقوم بها مؤسسات وافدة إلى ما يسمى (التعليم من أجل السلام) على نحو يعمل على تشكيل وجود إسرائيل في قلب الوطن الإسلامي والانصهار فيما يسمى بالوحدة العالمية، الوحدة الثقافية أو الوحدة الحضارية في مخطط خطير يعمل على تدمير الثوابت الإسلامية والقضاء على الحقائق الإسلامية والعربية ونبذ المقاومة وإشاعة روح التسليم والاستسلام ، وتعد « اليونسكو » من بين هذه المؤسسات حيث تهدف مناهج اليونسكو إلى هذا المطلب وحيث تعتمد على فرض مفاهيمها في التعليم واحتضان دول إسلامية وعربية كبرى بدعوى أن التعليم هو مفتاح التقدم والتطور .

وهو الشرط الذي لا مناص منه لازدهار المجتمعات الإنسانية بعد انتهاء الاتحاد السوفيتي ودول المعسكر الشرقي وانتهاء المواجهة بين المعسكرين وفرض مفاهيم عالمية الحضارة والثقافة على الدول العربية .

والواقع أن الفكر الإسلامي قد أعلن منذ أكثر من أربعين عامًا أن الثقافة ليست عالمية وأنها قومية تقوم على أساس العقيدة والثقافة واللغة والقيم التي يشكلها العقيدة ، ولما كانت الدول العربية كلها هي جزءًا من الأمة الإسلامية وانتماؤها إلى الإسلام وهو هويتها ، فمن هنا كان تميّزُها بثقافة مختلفة عن ثقافة الغرب .

ولقد كان الفكر الإسلامي قادرًا على إقامة منهجه الثقافي حول العقيدة

الإسلامية والتاريخ .

ومن هنا تجرى تلك المحاولة الخطيرة لحجب جوانب أساسية من مفهوم العقيدة ومن التاريخ الإسلامي في محاولة لتأصيل مفاهيم الغرب والصهيونية وفي مقدمتها العلمانية والحداثة والتنوير ، وكلها مفاهيم باطلة وزائفة .

يجرى ذلك إزاء إلغاء مناهج العقيدة ومواقف التاريخ التي هي أشرف صفحات تاريخ الإسلام في مقاومة التتار والصليبيين في الحضارة الغربية وفكرها ومنهجها بما يقضى على التميز الإسلامي والذاتية الخاصة .

ومن أخطر ما يثق هذه المؤسسات في عالم الإسلام : إحياء تراث البلاد الإسلامية قبل الإسلام : إحياء تراث فارس والمجوس والزنوجة والفرعونية والبابلية والفيزنقية ، وإقامة مهرجانات باسم حورس والطوطم وقلتامش وزيوس وأدونيس ، وإحياء تراث الأساطير القديم وتقييمه من جديد في صور من المسرح والدراما وإحياء النار القديمة في مهرجانات الرياضة والرقص والغناء الخليع .

كل هذا من أجل خداع الشباب المسلم المعاصر وصرفه عن قيم الإسلام بكتابات بدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وأودنيس . فضلاً عن وضع أطروحات عن ماني ومزدك والقرامطة بوصفهم دعاة العدل الاجتماعي ، هذا إلى كتابات جديدة حول وحدة الوجود والحلول والاتحاد وإحياء ابن عربي والحلاج وابن سبعين .

وفي بعض البلاد العربية يقدم تاريخ هذه المرحلة السابقة للإسلام في إضعاف تاريخ الإسلام مع أن الحقيقة التاريخية المؤكدة : إن الإسلام جاء ليبحث ما قبله ، وأن كل الأديان التي سبقته كانت مقدمة له ، وأن هناك حاجزًا تاريخيًا أصيلاً بين الإسلام وما قبله .

الرزق من الله

بقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » - الرياض

يسمع الإنسان بين حين وآخر ، كلمات من بعض الشباب خاصة ، ويغذى ذلك نوعيات من بعض أولياء الأمور بصفة عامة ، وممن ضعف رصيدهم في فهم دقائق التوحيد ، هذه الكلمات تتنافى في لفظها ومدلولها مع حسن الثقة بالله -جل وعلا- ، ومع جميل التوكل عليه سبحانه .. بل إن أبسط ما يقال : إنها تتنافى أدبيًا مع الله -جل جلاله- ، حيث جاء في دلالة الحديث القدسي ، بأن ابن آدم يؤذى ربه : فالله هو الخالق ويعبد غيره ، وهو الرازق ويدعو سواه ..

ويحس المرء أن أولئك يربطون تلك الكلمات بأوضاعهم وأعمالهم ، ويلقون باللائمة فيما يتعلق بالرزق على الآخرين ، تلك الكلمات التي تتنافى مع الأدب في قول الناس بعضهم لبعض ، فما بالك إذ اعتبر من فحواها أن البشر هم المتصرفون في الرزق عطاءً ومنعًا دون الله .. مما نتج عنه عزوف الشباب عن الزواج ، وعنوس الفتيات ، هذه الكلمات الدارجة على كثير من الألسن مثل : فلان قطع رزقي ، لن أتزوج حتى أضمن رزقي ، وحتى أؤمن مستقبلي ، أو حتى استقر برزق ثابت أو مضمون ، وغير ذلك .

ومع تلك الكلمات والركون إليها يحس المرء أن أولئك الشباب يخالفون دعوة الإسلام لشباب الأمة للزواج والحث عليه ، يقول -ﷺ- : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج » [الحديث] ، إذ منهج رسول -ﷺ- حثُّ الشباب عليه ، والدعوة للاقتصاد في النفقة ، وتخفيف التكاليف : « خيرهن أيسرهنّ مهرًا » ولذا فإن الركون إلى مثل هذه الكلمات ، واستمراءها قد جاء من نقص في فهم حقيقة التوحيد ، فالرزق هبة من الله لعبادة ، ونعمة يسبغها على كل ما يدبّ على وجه الأرض ، وفي مقدمتها الإنسان ، وهو سبحانه لم يخلق من الكائنات شيئًا يدب على وجه الأرض ، إلا وقد كفل رزقه ، وقدر نوعية هذا الرزق وكميته ، وحدد بقدرته سبحانه وحكمته كنهه ومدته ، يقول سبحانه : ﴿ وما من دابّة في الأرض إلى على الله رزقها ﴾ [سورة هود ، الآية : ٦] فالحيتان في جوف الماء ، والطيور في كبد السماء ، والحشرات وغيرها من المخلوقات صغيرها وكبيرها ، كلها كفل الله لها الرزق ، ومنحها حاسة دقيقة لإدراك ذلك الرزق ، ومكان تواجده ، دون أن تحتاج إلى اختزانه من وقت لوقت كما يفعل الإنسان ، ودون أن يكون لديها القدرة على حمله من مكان لمكان ، كما قال سبحانه : ﴿ وكأيّن من دابّة لا تحمل رزقها .. الله يرزقها وإياكم ﴾ [سورة العنكبوت ، الآية : ٦٠] .

وبعض من هذه الكائنات إن لم تستطع السعي إلى رزقها المقدر لها ، فإن حكمة الله اقتضت أن يأتي الرزق إليها ، أيًا كان نوعه ، وفي وقته المحدد ، وبالهيئة والمقدار الذي يضمن لهذا الكائن البقاء على قيد الحياة ، كما روى عن غرائب كثير من الأسماك والحيوانات والطيور ، ومن ذلك

أن شخصًا كان يهتم بمتابعة الزواحف فلفت نظره وجود ثعبان أعمى ، ملازم لجحره ولا يستطيع مفارقته ، فجلس يرصد أحواله ، ليرى كيف يعيش ، وكيف يصل إليه غذاؤه الذي به قوام حياته ، فوجد أنه يخرج من الجحر ، ويرفع رأسه عند الباب ، فاغرًا فاه في وقت ثابت يوميًا ، فيأتي إليه طائر ليقع في فيه ، فيلتهمه ثم يدخل جحره ، لكنه في آخر تلك الأيام خرج على عادته فلم يأته ما كان يساق إليه يوميًا ، وبقي منتظرًا مع الوقت أوقاتًا ، فلذعته الشمس بحرارتها ، وهو لايزال ينتظر ، وبعد مضي شطر كبير من النهار بدأ الضعف يدب فيه تدريجيًا ، ولم يقو على الصمود ، فمات في مكانه ، عندها أدرك الرجل أن الرزق الذي يسوقه الله لهذا الثعبان قد انقطع ، لأن أجله قد حان ، وبالأجل ينقطع الرزق ، وما ذلك إلا أن تلك المخلوقات مسخّرة بإرادة الله لهدف معين ، ولها مهمة في الحياة مرسومة ، وأجل محدود ، وهي وإن لم تكن مكلفة كالإنسان ، ولم توهب عقلاً مثله ، إلا أنها عارفة بالله ، متوكلة عليه سبحانه حقّ التوكل .. فهيأ الله لها رزقها سهلاً ميسرًا ، وقد أوضح ذلك حديث رسول الله -ﷺ- في حثه الفئة المسلمة على أن تأخذ من الطهر صفة التوكل الحقيقي ، وتحرص عليه عقيدة وعملاً .. لا قولاً باللسان دون اعتقاد القلب ، فقال - عليه الصلاة والسلام - في الحديث الصحيح : « لو تتوكلون على الله حق التوكل لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصًا ، وتروح بطانًا » أي تذهب من أعشاشها في الصباح الباكر خاوية البطون من الجوع ، فتسعى في طلب الرزق ، الذي يُهيأ لها ، لتجده فتأخذ منه ما يكفيها ، وتروح في المساء لأوكارها ممتلئة البطون ، شابعة من خير الله الذي هُيئ لها ، بعد ما

نالت من حظها .

وإذا كان لها صغار ، فإن الله يلهمها حمل الطعام لها ، لتقدم لها ما يشبعها : إلهامًا وحسن توفيق ، حتى إذا قدرت على الطيران ، استغنت بنفسها في تهيئة الرزق ، الذي قدره الله لها .

وفي هذا المجال ، يروى من باب توطين النفوس ، وتثبيتها لإدراك حكمة الله في مخلوقاته ، وقدرته سبحانه في تهيئة الرزق لكل كائن حيّ ، وأن الرزق الذي أراده الله ، لا يصرفه قدرة بشرية ، ولا حسد حاسد ولا يوقفه فعل فاعل .. سواء بالنفع أو الضرّ .

في هذا تروى حكاية من قصص بني إسرائيل ، التي تؤخذ للعظة والعبرة ، مضمونها : أن رجلاً كان في عهد موسى -عليه الصلاة والسلام - قد حرص على تربية كلب منذ صغره ، ليكون حارسًا لأغنامه ، ولكن هذا الكلب كان بأربع عيون ، وهو خارج عن مألوف ما اعتاد الناس عليه ، فكان شكله مفزعًا لأن كل أمر تجاوز مألوف الناس ، صار نافرًا لديهم ، فضجر الرجل من هذا الكلب ، وأراد التخلص منه لقلة نفعه ، ولإخافته لأولاده ، بهذه العيون الأربع الخارقة لما اعتاده الناس .

قرر الخلاص منه ، وخوفًا من عودته إليه ، أو سريان أذاه للناس ، بشكله اللافت للنظر ، فقد ذهب به إلى مكان ناءٍ ، واصطحب معه سلسلة ، وفي مكان قصي وجد شجره منفردة ، فدبر أمره بربطه فيها بالسلسلة حتى لا ينفلت ، ومن ثم لا يعود إليه ، وبذلك يموت هذا الكلب تلقائيًا ، ومع مرور الزمن : جوعًا وعطشًا ، وقد تركه على هذه الحال ليصارع الموت البطئ ، وذهب في حل سبيله .

وبعد مدة رأى من باب الوفاء ، أو التأكد ، أن يمر بالمكان مستطلعًا نهاية هذا الكلب ، لكن شدة استغرابه زادت عند ما رأي الكلب بحالة جيدة ، وقد كبر وسمن فترة غيابه عنه ، مع أنه لا زال في رباطه موثقًا ، ولما قرب منه بصبص إليه ، واحتكّ به اعترافًا منه بما لصاحبه عليه من فضل .. والكلاب مشهورة بالوفاء .. وقد رأى بجواره جدول ماء يشرب منه الكلب كلما احتاج إلى ذلك ، ويأتيه فيه كل يوم غذاؤه ، وهو عبارة عن سمكة يحملها الماء إليه فيأكلها ..

عجب الرجل مما رأى ، وذهب إلى نبيّ الله موسى - عليه الصلاة والسلام - فأخبره حكايته مع الكلب ، وماذا كانت النتيجة .. فقال له - عليه السلام - ما مضمونه : إنك عملت شيئًا لم يرده الله -جل وعلا- ، فما من نفس منفوسه ، إلا وقد كتب الله عمرها ورزقها .. وأنت أردت إماتة الكلب ، وقطع رزقه .. ولكن سبق في علم الله أن عمره لم ينته ، ورزقه لن ينقطع .. فسددت طريقًا ، فهيأ الله له طريقًا آخر بحكمته البالغة .

ومن هنا فإن الإنسان يجب أن يدرك حقيقة الرزق ، وأنه شئ قدره الله للإنسان قبل أن يخرج للحياة ، وهذا الرزق أيًا كان نوعه : لا يرده حسد الحاسد ، ولا نفثات الحاقد ، كما أنه لا يكثره طمع الطامع وحرص الحريص ، ولكنه شئ أراده الله ، ويهئ سبحانه أسبابه ، والاستعدادات النفسية والجسدية له قبولاً وعملاً ، واهتمامًا وتوفيقًا ، فينجذب الإنسان إلى ما فيه رزقه ، وينساق الرزق إليه كمًا وكيفًا ، فيجب ربط الأمور بالله -جل وعلا- ، وحسن التوكل عليه في ذلك ، وما يأتي عن طريق البشر ، فإنما هي أسباب يجب الأخذ بها ، لكن دون تعلق القلب

بغير الله ، فإنه سبحانه هو مسبب الأسباب ، ومهيئ الفرص ، فقد روى عن عمر - رضي الله عنه - أنه رأي رجلاً يتعبد في المسجد ، فسأله من ينفق عليك ؟ قال : أخي الذي يشتغل ويتكسب ، قال : أخوك أعبد منك ، وفي هذا يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : ربي ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة .. ولكن يدعو الله ويأخذ بالأسباب ، فكل ميسر لما خلق له .

أما حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، المتفق على صحته ، فقد قال فيه رسول الله -ﷺ- : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا علقة ، ثم مضغة مثل ذلك ، ثم قطعة مثل ذلك ، ثم ينزل إليه الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : يكتب رزقه وعمله وأجله وشقيٌ أو سعيد .. إلى آخر الحديث ، ففيه دلالة على أن الله -جل وعلا- : ﴿ هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ وأنه كافل أمور عباده ، ومقدر ما تصلح به أحوالهم ، فهذا يصلح الرزق القليل أحواله ، ويفسدها الكثير ، وذاك بالعكس .. وهلم جرّا ، وقد جاء في الحديث القدسي أن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالفقر ، فلو أغنيته لأفسد عليه ذلك ، وإن من عبادي من لا يصلح إيمانه إلا بالغنى فلو أفقرته لأفسد عليه ذلك .

وقد ورد ذكر رزق والرزاق - الذي هو اسم من أسماء الله - ومشتقات هذه الكلمة في كتاب الله ، أكثر من مائة وخمس وعشرين مرة ، وما ذلك إلا من أجل ربط الإنسان بخالقه ، ولإدراك أن أهم ما يؤرق حياة هذا الإنسان قد ضمنه الله ، وأن التعمق في فهم هذه الحقيقة ، جزء من عقيدة المسلم ، الموصولة بخالقه .

فالرزق لا يأتي الإنسان بمواصلة السعي وشدة الحرص ، ولا يتكاثر بين يديه بجهوده الشخصية ، وقدراته الذاتية ، ومن اغترّ بذلك ، كان فيه شبه بقارون الذي كان حاله وبالاً عليه ، عند ما قال : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٧٨] .. وإنما الأمور التي تبذل من الإنسان ما هي إلا أسباب قد يكون فيها ما يعين على تحقيق الرزق المكتوب ، وقد يكون فيها جهد ضائع لا يحقق ما يرنو إليه الشخص ..

ومن هنا فإن كل إنسان يجب أن يدرك ، أن الله قد أودع في بعض البشر جهدًا و طاقة ، يستعين بهما على تحقيق الرزق ، وقد يكون ما تبذله النفس من أعماله ، إنما هو مجهود ضائع لا يحقق ما يرنو إليه الشخص .. وأن المواهب التي تأتي في الإنسان من ذكاء وفطنة ، وبصر بخفايا بعض الأمور ، وفراسة يستشرف بها الإنسان للأشياء البعيدة ، وغير ذلك من الغرائز الفطرية والمكتسبة ، قد يكون فيها ما يعين على الاتجاه السليم للرزق الذي قدره الله ، وفق القاعدة الإيمانية ، التي تزن الأمور بميزان شرع الله من حلال وحرام ، ليكون الكسب حلالا فينفع صاحبه ، أو حرامًا فيضرّبه : « نعم المال الصالح عند العبد الصالح » وذلك حسب الحرف والمهن ، والأعمال والأوجه المتشعبة في ميادين الحياة ، فهي : تختلف باختلاف مواهب الناس ، واستعداداتهم ، وما تتطلبه الحياة ، فما يصلح لهذا ، لا يتلاءم مع تلك ، فيتجه كل شخص لما يتلاءم مع فطرته وقدراته ، وييسر الآخر لما فيه فائدة لنفسه وغيره .. ليصبح الناس في مجتمعهم أعوانًا لبعض ، ومسخرين لخدمة غيرهم ، في كل مكان على وجه الأرض اتفقوا في الهدف والعقيدة ، أم اختلفوا ، كما

يقول الشاعر :

الناس للناس من بدو و حاضـــــرة
بعض لبعض و إن لم يشعروا خـــدم

فالإنسان بجهده مهما كان ، وبحرصه على العمل ، وتفاعله مع المهنة ، مهما مكث من وقت ، ومهما رابط واهتم ، ليس هو بالذي يزيد في الرزق الذي قدره الله له ، ولا الحرص الشديد ، وشدة الطمع بالذي يجعله يأخذ مما قسم للآخرين المشتركين معه في الصنعة ، ونوعية العمل والبضاعة ، إن كان تاجرًا أو فلاحًا ، بل بعض هذه الخصال يورث الحقد والحسد ، ويدفع إلى الغيبة والنميمة ، وكل هذه خصال نهى عنها الإسلام ، وحذّر من الركون إليها ، كما أن شدة الذكاء ، وكثرة السعي ، ليست من الخصال التي تجعل الرزق لفئة ليحرم منها فئة أخرى تتباين معها في الصفات والحرص ، وهكذا بقية الصفات التي لا تحصى ، مثل : العلم والجهل ، والذكاء والغباء ، والفطنة والسفه ، والحمق والحلم ، وهلم جرّا .. لا الجيد يطغى على النقيض ، ولا الرزق متعلق بصفة دون أخرى ، ولكنه رزق الله الذي كتبه الله سبحانه لعباده ، قبل أن يخرجوا من بطون أمهاتهم ، يأتي إليهم بطرق عدية يمتحنهم الله فيه أخذًا وعطاءً ، وعملاً واعتقادًا ، وقد يسخر الله الذكيّ في مذمة الغبي ، والحليم لتغطيه نقص الأحمق ، والعالم ليخدم الجاهل : ﴿ ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ [سورة الزخرف ، الآية : ٣٢] فيكون من جهد هذا ، ما يسوقه الله رزقًا لذاك ، حيث يبذل من مواهبه ما يعين في توسيع رزق الآخر ، تسخيرًا من الله ، وحكمة أرادها سبحانه ، يقول الشاعر في هذا المعنى :

و لو كانت الأرزاق تعطـــى ذوى الحجا
هلكن إذًا مـــــــن جهّلهن البهائم

النعمان وأوس بن حارثة :

ذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل ، أن أبا الفرج السلمي قال : حدثني عمر بن المعلّى ، قال : جلس النعمان ابن المنذر وعليه حلة مرصّعة بالدرّ لم ير مثلها ، وأذن للعرب بالدخول عليه ، وكان فيهم أوس بن حارثة ، قال : فجعلت العرب تنظر إلى الحلة ، وكل منهم يقول لصاحبه : ما رأيت مثل هذه الحلة أبدًا ، ولا سمعنا أن أحدًا من الملوك قدر على مثلها ، قال : وأوس بن حارثة مطرق لا ينظر إليها ، فقال له النعمان : وما أرى كل من دخل عليّ إلا استحسن هذه الحلة ، وتحدث مع صاحبه في أمرها إلا أنت ، مع نقصان أمرها عندي ، فما رأيتك استحسنتها ، ولا نظرت إليها .

فقال أوس : أسعد الله الملك ، إنما تستحسن الحلة إذا كانت في يد التاجر ، وأما إذا كانت على الملك ، وأشرق فيها وجهه ، فنظرى مقصور عليه ، لا عليها ، فاسترجع عقله ، واستحسن قوله : فلما عزموا على الإنصراف قال النعمان : اجتمعوا إليّ غدًا ، فإني ملبس هذه الحلة لسيد العرب منكم ، فانصرفوا عنه ، وكل منهم يزعم أنه لابس الحلة في غد ، فلما أصبحوا تزينوا بأفخر الملابس وتقلدوا بأصح السيوف ، وركبوا أجود الخيل ، وحضروا إلى النعمان ، وتأخر عنه أوس بن حارثة ، فقال له أصحابه : مالك لا تغدو مع الناس ، إلى مجلس الملك ؟ فلعلك تكون صاحب الحلة التي يمنحها له الملك .

فقال أوس : إن كنت سيد قومي ، فما أنا سيد العرب عند نفسي ، وإن

حضرت ولم آخذها انصرفت منقوصًا وإن كنت المطلوب بها ، فسيعرف مكاني ، فأمسكوا عنه .

ونظر النعمان في وجوه القوم ، فلم ير أوسًا ، فاستدعى بعض خاصته ، وقال : اذهب لتعرف خبر أوس بن حارثة ، فمضى رسول النعمان ، واستخبر بعض أصحابه فأخبره بمقالته ، فعاد إلى النعمان وأخبره بذلك ، فبعث إليه النعمان رسولاً وقال : احضر آمنًا مما خفت ، فحضر أوس بثيابه التي كان حضر بها بالأمس ، وكانت العرب استبشرت بتأخره خوفًا من أن يكون آخذ الحلة ، فلما حضر وأخذ مجلسه قال له النعمان : لم أرك غيّرت ثيابك في يومك ، فالبس هذه الحلة لتتجمل بها ، ثم خلعها وألبسها له .

فاشتد ذلك على العرب وحسدوه ، وقالوا : لا حيلة لنا فيها إلا أن نرغب الشعراء بأن يهجوه بقبيح الشعر ، فإنه لا يخفض رفعته إلا الشعر ، فجمعوا فيما بينهم خمسمائة ناقة ، وأتوا بها إلى رجل يقال له جرول ، وقالوا له : خذ هذه واهج لنا أوس بن حارثة ، وكان جرول يومئذ أشعر الناس ، وأقواهم هجاء ، فقال لهم : يا قوم كيف أهجوا رجلاً حسيبًا ، لا ينكر بيته ، كريمًا لا ينقطع عطاؤه ، فاضلاً لا يطعن على رأيه ، شجاعًا لا يضام نزيله ، محسنًا لا أرى في بيتي شيئًا إلا من فضله ، فسمع بذلك رجل يقال له : بشر بن أبي خازم شاعر فرغب في البذل ، وأخذ الخمسمائة ناقة ، وهجاه وذكر أمه سعدى ، فسمع أوس بذلك فوجه في طلبه فهرب وترك الإبل ، فأتوا بها إلى أوس بن حارثة ، فأخذها وشد في طلبه ، وجعل بشر بن أبي خازم يطوف في أحياء العرب ، يلتمس عزيزًا

يجيره على أوس ، وكل من قصده يقول له : أجرتك إلا من أوس فإني لا أقدر أن أجيرك عليه ، وكان أوس قد أدلى عليه العيون ، فرآه من كان يرصده فقبض عليه وأتى به إلى أوس .

فلما مثـــل بين يديه قال له : ويلك .. أتذكر أمي وليس في عصرنا مثلها ؟ قال : قد كان ذلك أيها الأمير ، قال : والله لأقتلنك قتلة تحي بها « سعدى » يعني أمه ، ثم دخل أوس على أمه سعدى ، وقال لها : قد أتيتك بالشاعر الذي هجاك ، وقد آليت لأقتلنه قتلة تحيين بها ، قالت : يا بنيّ أو خير من ذلك ؟ قال : ما هو ؟

قالت : إنه لا يجد ناصرًا منك ، ولا مجيرًا عليك ، وإنا قوم لا ترى في اصطناع المعروف من بأس ، فبحقي عليك إلا أطلقته ، ورددت إليه إبله ، وأعطيته من مالك مثلها ، ومن مالي مثل ذلك ، وأرجعه سالماً إلى أهله ، فإنهم قد أيسوا منه .

فخرج إليه أوس .. وقال له : ما تقول إني فاعل بك ؟

قال : تقتلني لا محالة ؟ قال : أتستحق ذلك ؟ قال : نعم .

قال : إن سعدى التي قد هجوتها قد أشارت بكذا وكذا ، ثم حلّ كتافه ، وقال له : انصرف إلى أهلك سالماً ، وخذ ما أمرت لك به ، فرفع بشر يده إلى السماء وقال : اللهم أنت الشاهد عليّ ، لا أعود إلى شعر إلا أن يكون مدحًا في أوس بن حارثة ، وله بعد ذلك قصائد مشهورة في مدح أوس منها التي مطلعها : أتعرف من هنية رسم دار .. وقد جاء في ديوانه [١/١٩٨] .

٧٧٧

الفقه الإسلامي :

الزكاة وأهميتها في الإسلام

أصدر كتاب في موضوع نصاب الزكاة للشيخ عتيق أحمد أستاذ بدار العلوم لندوة العلماء،وهذا المقال اقتطفناه من هذا الكتاب ، ونقدمه إلى قرائنا الكرام مترجمًا إلى العربية وقد ترجمه الأستاذ محمد إبراهيم الندوي - أستاذ بدار العلوم لندوة العلماء] [التحرير]

الزكاة في الإسلام من أهم الواجبات الدينية ، وعبادة مالية يتقرب بها العبد إلى الله ، وثالث الأركان الخمسة التي بنى عليها الإسلام ، ومما يدل على أهميتها أن الله عز ذكره قد أردفها وقارن بينها وبين الصلاة في سبع وعشرين آية من كتابه ، وما الزكاة نوعًا من التبرع أو الإحسان ، وإنما هي حق معلوم للفقراء والمحرومين يجب أداؤه على الغنى من ماله كلما حال عليه الحول وبلغ النصاب ، إلى جانب أنها عبادة مالية ، وكذلك يعود على الأغنياء أن يسلموا هذا الحق لمن يستحقه ، ممن ذكرهم الله سبحانه [في سورة التوبة ، الآية : ٦١] ومن واجبات الدولة الإسلامية أن يتبع نظامًا دقيقًا وشاملاً للجباية والتوزيع حتى يصل الحق إلى ذويه بصورة واقعية قطعية .

وقد جعل الله سبحانه الزكاة رمزًا خاصًا للإيمان كالصلاة ، وبنى عليها الأخوة الدينية ، قال جل شأنه : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ، إن الله غفور رحيم ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ٥] وقال في الآية : ١١ من نفس السورة : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا

الزكاة فإخوانكم في الدين ﴾ .

ونظرًا لهذه الأهمية للزكاة في الدين الإسلامي أمر خليفة الرسول الكريم -ﷺ- وعالم أسرار الشريعة الخليفة الأول أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بقتال مانعي الزكاة في أحرج الظروف التي مرت بالمسلمين ، وقال وهو يؤكد على إقامة نظام اجتماعي للزكاة كما كان في عهد الرسول الكريم -ﷺ- : « والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها لرسول الله -ﷺ- لقاتلتهم على منعها » (١) .

قال رسول الله -ﷺ- : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله » (٢) .

وقد جاء الحث على أداء الزكاة في كل دعوة إسلامية وجهت إلى الناس ، قال رسول الله -ﷺ- لمعاذ بن جبل - رضي الله تعالى عنه - لما بعثه إلى اليمن : « إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : ﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ﴾ صحيح مسلم ، كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس ، وفي رواية « عقالاً » بدل « عناقًا » .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب قول الله تعالى : ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة ﴾ صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا ..

افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم » (١) وعند ما يزكى العبد المؤمن كسبه الحلال وقع مال زكاته في يد الرحمن من قبل أن يقع في أيدي الفقراء والمساكين فيقبله الله تعالى ويربيه أضعافًا مضاعفة ، قال رسول الله -ﷺ- : « ما تصدق أحد بصدقة من طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب- إلا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ، كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله » (٢) .

قال الصحابي المعروف ومن أعلام التفسير عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : « ما تصدق رجل بصدقة إلا وقعت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل وهو يضعها في يد السائل ، ثم قرأ عبد الله -رضي الله عنه- : « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم » (٢) .

إن الزكاة تمنع الركود المالي في المجتمع ، ويصل عن طريقها نصيب لا يستهان به من رأس مال الغنى إلى طبقة مكدودة من الفقراء والبائسين

---

(١) ورد هذا الحديث في جميع كتب الصحاح باختلاف قليل في الألفاظ ، فليرجع إلى صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، الباب الأول ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإيمان .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كل نوع من المعروف صدقة ، كما جاءت هذه الرواية في صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة من كسب طيب باختلاف في الألفاظ .

(٣) كتاب الأموال لأبي عبيد : ص/٢٦٠ .

الذين يحرمون ضرورات الحياة ، وتعيش مكبلة بالجوع والشقاء ، كما أنها تقضى على اللامساواة الاقتصادية غير الطبعية ، وتطهر أموال أصحابها من شوائب الموارد المشبوهة ، وتهذب قلوبهم وعقولهم من الأدواء النفسية من بخل وشح وطمع وأثرة وما إلى ذلك ، قال جل من قائل : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ١٠٢] وإن إيتاء الزكاة وأداءها الصحيح ليبعث في طبقات الفقراء والمحتاجين في المجتمع عواطف الحب والوئام والتكريم نحو الأغنياء ، والأثرياء كما يستفاد من التعاليم الإسلامية ، ولا يحدث بسببها ذلك الصراع المشئوم بين الفئتين مما أدى إلى وقوع الحوادث الفظيعة والدمار الشامل أكثر من مرة واحدة في التاريخ البشري ، ومهد طريقا إلى تفجر الثورات واندلاع الحروب الدامية .

المستحقون للزكاة في كتاب الله - جل وعلا - :

قد تكرر الأمر بإيتاء الزكاة في كتاب الله تعالى إلا أن أحكامها التفصيلية لم يرد بيانها فيه ، فلم يبين من تجب عليه الزكاة وفي أي الأموال تجب وما هي نسبة الواجب وما هو النصاب في الأموال المختلفة ، فإن هذه التفاصيل قد بينتها سنة الرسول الكريم -ﷺ التي هي بمثابة الشرح والتفصيل لما ورد في القرآن الكريم من الأحكام المجملة ، إلا أن القرآن الكريم قد بين جانبًا واحدًا مما يتعلق بالزكاة بغاية من الوضوح وفي أسلوب الحصر والقطع على عكس ما تبناه بالنسبة للجوانب الأخرى ، وأفرد آية كاملة من سورة التوبة ببيان من تصرف عليهم الزكاة ،

فلماذا أولى القرآن الكريم هذا المدى من العناية والاهتمام بهذا الجانب وأعطاه أهمية خاصة ، هذا سؤال ينشأ بالطبع .

وقد أجابت عن هذا السؤال وبينت وجه اهتمام القرآن الكريم بتحديد المستحقين للزكاة الآية : ٥٨/من نفس السورة ، وذلك أنه لما تمّ وضع النظام الاجتماعي للزكاة وبدأ صرف المبالغ الهائلة من أموال الزكاة على مستحقيها تحت رعاية الحكم الإسلامي تطلعت الأنظار الشحيحة من المنافقين ومن في قلبه مرض إليها ، ولما لم يظفروا بمطامحهم حسب أهوائهم استهدفوا شخصية الرسول الكريم -ﷺ- باللامة والنقد وبهتوه بالاتهامات الكثيرة ، فأنزل الله سبحانه الآية الستين من سورة التوبة تبيينا لمن تنفق عليه موارد الزكاة صيانة لذات نبيه -ﷺ- من كلمات اللمز والهمز المرذولة الساقطة ، وفرض الحظر على صرفها فيما وراء ذلك ، وبذلك تم تكميم أفواه العائبين والناقدين إذ لم يدع الله تعالى توزيعها إلى أحد من البشر حتى من اصطفاه لرسالته و وحيه وأشار بذلك إلى أن الرسول الكريم -ﷺ- يضع هذه الأموال في محالها ويقوم بتوزيعها في المواطن التي حددها الله سبحانه ، فلا مبرر لأحد أن يستهدفه للنقد والجرح ، وبعد هذه التوطئة نتلو تلك الآيات الكريمات التي سبقت في مقالنا الإحالة إليها .

قال تعالى : ﴿ ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون • ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون • إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي

الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل • فريضة من الله • والله عليم حكيم ﴾ [سورة التوبة ، الآيتان : ٥٩-٦٠] .

وقد جاء في سنن أبي داؤد رواية عن زياد بن الحارث الصدائي قال : « أتيت رسول الله -ﷺ- فبايعته وذكر حديثا طويلاً ، فأتاه رجل فقال : أعطني من الصدقة ، فقال له رسول الله -ﷺ- : إن الله لم يرض بحكم نبيّ ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية أجزاء ، فإن كنت من تلك الأجزاء أعطيتك حقك » (١) .

الحكمة في تحديد مواطن الصرف لأموال الزكاة :

الحكمة الأولى في تحديد محال صرف الزكاة قد سبقت في الآية ٥٨ من سورة التوبة آنفًا وهناك حِكم أخرى كذلك في اهتمام القرآن الكريم بذكر هذه المواطن بصيغة الحصر والتحديد ، ومنها أن الديانات السماوية والنحل البشرية كلها قد اتبعت نظام الزكاة والصدقات وأكدت على الإنفاق على الفقراء والمساكين في المجتمع وحثت الأغنياء على التكفل بحوائجهم كما تدلنا على ذلك دراسة تاريخ الأمم والأديان المختلفة عبر العصور والقرون ، وأكثر الحكومات الماضية قد جبت أموالا طائلة من المواطنين بحجة مساعدة المحتاجين والبؤساء وإصلاح أحوالهم وتوفير الرخاء والسعادة في حياتهم ولكن دخل الحيف والتعسف في صرف تلك الأموال واستطالت عليها أيد مغرضة ولم يصل منها إلى الفقراء وذوى الحاجات إلا قدر ضئيل لا يعتد به وإنما امتلأت بها جيوب طبقة

---

(١) سنن أبي داؤد كتاب الزكاة .

الأغنياء والرأسماليين بأسماء وعناوين خلابة واكتنزها الحكام و ولاة الأمر في صناديقهم غمطًا لحقوق الضعفاء والتعساء من شعوبهم كما يقول المثل السائر « المال يد المال » وكل ذلك لفقد قانون ضابط لديهم فيما يتعلق بأموال الزكاة والصدقات وعدم التحديد لمن يستحقونها و وقوع الإجمال والغموض في أحكامها الكثيرة .

ولما جاء الإسلام أراد أن يسد على وجوه الأشحاء والمغرضين هذا الاستغلال المشئوم لحقوق المساكين ، فقدم للناس كافة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها نظامًا شاملاً مضبوطًا للزكاة ، يحدد من يصرف عليهم أموالها دون أن تعدوهم حبة خردل منها إلى من سواهم ، وفرض الحظر على أي تغيير أو تبديل في هذه المواطن الخاصة حتى إنه لم يسمح بأن يتولى الأغنياء رعاية أموال الزكاة بعد إخراجها أو وضعها في مشاريع التنمية والاستثمار ومخططات التطور والتقدم مما يعود على الفقراء بالمنافع المختلفة حسب ظروفهم المختلفة وإنما أوجب على الأغنياء تسليم هذه الأموال وتمليكها للفقراء والمستحقين مباشرة أو بوساطة الدولة الإسلامية ويقطعوا عنها كل نوع من التدخّل والتحكم ، وذلك أن الفقراء والمساكين أعلم بمنافعهم ومصالحهم فيتصرفون فيها كما يرون ويريدون حسب الضرورات والحاجات المتنوعة التي تلم بهم .

ولا ينبغي أن نغمض أن هناك فرقًا واضحًا وبونًا شاسعًا بين تمليك الإنسان مالا وسد حاجته بذلك المال ، فإن التمليك يوسع مساحة غنائه إلى حد كبير ، فإن الإنسان إذا ملك مالاً أمكنه التصرف فيه كما يشاء بكل حرية واستقلال ، فله أن يبيعه أو يقدمه هدية أو ينفقه على نفسه

ويسد به حاجة من حاجاته ، أما سد حاجة الفقير بمال الزكاة بدون تمليكه له كما لو قدم له طعام من مال الزكاة ليتناوله كوجبة غذائية بدون أن يحمله معه فعندئذ يصبح غناؤه محدودًا ضيق النطاق ، فمن الممكن أنه لا يشتهي إلى الطعام لشبعه وأهله جياع ، لو ملكه لذهب إلى أهله وأطعمهم وقرّبه عينًا ، وربما كان هو وأهله شبعا في ذلك الوقت ولو ملكه لتناوله في وقت آخر عند ما مسه الجوع ، أو باعه وقضى به حاجة أخرى ، فلو دعوت الفقراء إلى مأدبة من مال الزكاة فلا شك أنه وقع في صالحهم وانتفعوا به كذلك إلا أنه قد تحدد وضاق نطاق غنائه ، وتوسيعا لنطاق هذا الغناء من مال الزكاة وتعميما لنفعه في حق الفقراء وأهل الحاجة أوجب الإسلام على الأغنياء أن يسلموا مال الزكاة للفقراء ويطلقوا لهم عنان التصرف فيه بدون أن يفرضوا عليه قيدًا أو يستبيحوا فيه لأنفسهم بعض أنواع التصرف والتدخل حتى يتفرغ المال للفقراء في تصرفهم في مال الزكاة ، وحتى ينفقوه في تحقيق ما يريدون من الأغراض والحوائج .

وقد ذكر العلامة السيد سليمان الندوي في كتابه : « سيرة النبي » كثيرًا من أعمال التعديل والتسوية التي أدخلها الإسلام نحو صرف أموال الزكاة ، قال : « كان من الضيق والحرج في الشرائع السالفة بالنسبة لأموال الزكاة أنها لم تكن تسلم إلى الذين يستحقونها بل كانت تدخر ويعد فيها الطعام ويوزع على الفقراء ، ومعلوم بالضرورة أن الحاجات الإنسانية غير محصورة فيما يسد به الجوع فجاءت الشريعة الإسلامية الحكيمة بتعديل في هذه الطريقة المتبعة وأمرت بدفعها إلى المستحقين

لها حتى يتصرفوا فيها حسب مصالحهم " .

وإن هذا التعديل الذي قدمه الإسلام نحو الزكاة في صورة تمليك الفقراء أموالها تعميما لغناء الزكاة في حق الفقراء ، عبر عنه فقهاء الإسلام بتمليك الفقير ، وقد حاولنا تسليط الضوء على هذا المصطلح الفقهي في محتويات هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، وسرد الأدلة التي تمسك بها كل من الموافقين والمخالفين .

قد اتفقت كلمة الفقهاء في كل العصور على أنه يجب لبراءة الذمة بأداء مال الزكاة تمليكه لمن يستحقه في المواطن الأربعة الأولى من الثمانية التي نصت عليها الآية : ٦٠ من سورة التوبة ، وأن يدفع إليهم مال الزكاة ملكًا تامًا يستطيعون به إنفاقه على أنفسهم بكل حرية كيفما يشاؤن وفيما يشاؤن .

وجاءت في ذلك آراء الأحناف صريحة واضحة فصرحوا بوجوب تمليك مال الزكاة لمستحقه وجعلوا ذلك شرط الأداء ، فإذا انتقل المال إلى ملكه وأصبح في حرزه ، ملك التصرف فيه بإرادته بدون أي مانع .

رأي الأحناف في التمليك :

سيأتي في هذا الكتاب أقوال الأحناف التي صرحوا بها في وجوب تمليك الفقير لمال الزكاة مرارًا في مناسبات مختلفة وخصوصًا في كتابات الشيخ المفتي محمد شفيع والشيخ ظفر أحمد عثماني والشيخ عبد الدائم الجلالي - رحمهم الله جميعًا - فأكتفى هنا بذكر ما كتبه ملك العلماء العلامة علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (م ٥٧٨هـ) في كتابه الشهير بدائع الصنائع ، قال : « ركن الزكاة هو إخراج جزء من النصاب إلى الله تعالى وتسليم ذلك إليه بقطع المالك يده عنه بتمليكه من

الفقير وتسليمه إليه أو إلى يد من هو نائب عنه وهو المصدق ، والملك للفقير يثبت من الله تعالى ، وصاحب المال نائب عن الله تعالى في التمليك والتسليم إلى الفقير والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ﴾ وقول النبي الكريم -ﷺ- الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في كف الفقير ، وقد أمر الله تعالى الملاك بإيتاء الزكاة لقوله -عزوجل- : ﴿وآتوا الزكاة ﴾ والإيتاء هو التمليك ولذا سمى الله تعالى الزكاة صدقة بقوله - عزوجل- : ﴿ إنما الصدقات للفقراء ﴾ والتصدق تمليك ، فيصير المالك مخرجًا قدر الزكاة إلى الله تعالى بمقتضى التمليك سابقًا عليه ، ولأن الزكاة عبادة على أصلنا ، والعبادة إخلاص العمل بكليته لله تعالى ، وذلك فيما قلنا : إن عند التسليم إلى الفقير تنقطع نسبة قدر الزكاة عنه بالكلية وتصير خالصة لله تعالى ويكون معنى القربة في الإخراج إلى الله تعالى بإبطال ملكه عنه لا في التمليك من الفقير بل التمليك من الله تعالى في الحقيقة ، وصاحب المال نائب عن الله تعالى (١) .

كلام العلامة الكاساني تعبير عن وجهة نظر الفقهاء مصحوبًا بالأدلة على تمليك الفقير لمال الزكاة ، ومن أجل ذلك استند إليه كثير من العلماء وأشاروا في كتاباتهم إليه ، إلا أن هؤلاء العلماء قد لخصوا استدلال العلامة الكاساني فبقى فيه بعض الإجمال والاغماض فأردت أن أذكر كله وإن طال حتى يتبين كلامه ويتضح ما ينطوى عليه من وجوه الاستدلال .

رأي فقهاء الشافعية في التمليك : استدل علماء الشافعية بأن اللام في

---

(١) بدائع الصنائع : ج/٢ ، ص/٣٩ .

آية مستحقي الزكاة : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين .. إلخ ﴾ لإثبات الملك فأوجبوا تمليك هؤلآء المستحقين مال الزكاة حتمًا ، ولا يجزئ عندهم أداء الزكاة صرف مالها في صالح المستحقين ممن وجبت عليهم الزكاة حسب ما يرون بدون أن يملكوهم القدر الواجب أداؤه ، وقد أعرب الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عن وجهة نظر فقهاء الشافعية في كتابه : « المهذب » قال : « ويجب صرف جميع الصدقات إلى ثمانية أصناف .. والدليل عليه قوله تعالى : ﴿ إنما الصدقات للفقراء .. ﴾ فأضاف جميع الصدقات إليهم بلام التمليك وأشرك بينهم بواو التشريك ، فدل على أنه مملوك لهم مشترك بينهم » (١) .

وقال الإمام النووي الشافعي - رحمه الله تعالى - وهو يتحدث عن الصنف الخامس من الأصناف الثمانية ، للزكاة (وفي الرقاب) في كتابه : « المجموع شرح المهذب » : « قال الشافعي والأصحاب : يصرف سهم الرقاب إلى المكاتبين ، هذا مذهبنا ، وبه قال أكثر العلماء .. واحتج أصحابنا بأن قوله -عزوجل- (وفي الرقاب) كقوله تعالى : ﴿ وفي سبيل الله ﴾ وهناك يجب الدفع إلى المجاهدين ، فكذا يجب هذا الدفع إلى الرقاب ، ولا يكون دفعا إليهم إلا على مذهبنا .

وأمن من قال يشترى به عبيد فليس بدفع إليهم ، وإنما هو دفع إلى ساداتهم ، ولأن في جميع الأصناف يسلم السهم إلى المستحق ويملكه إياه فينبغي هنـــا أن يكون كذلك لأن الشرع لم يخصهم بقيد يخالف غيرهم » (٢) .

---

(١) المهذب : ج/١ ، ص/٢٢١ .

(٢) المجموع شرح المهذب : ج/٦ ، ص/١٤٦ .

دلت هذه المقتطفات من أقوال الفقهاء الشوافع بكل صراحة و وضوح على أن تمليك المستحق لمال الزكاة واجب عندهم لأداء الزكاة وبراءة الذمة منها .

أقوال فقهاء الحنابلة والمالكية :

وقد جاءت آراء علماء الحنابلة في وجوب التمليك صريحة واضحة ، ونكتفي بذكر مقتطفين من كلام الحنابلة في هذه المناسبة .

قال الفقيه الحنبلي الشهير شمس الدين المقدسي : (محمد بن مفلح ، المتوفى عام ٧٦٣هـ) في كتاب الفروع : « ويشترط في إخراج الزكاة تمليك المعطى (و) فلا يجوز أن يغدى الفقراء والمساكين ويعشيهم ، ولا يقضى منها دين ميت غرمه لمصلحة نفسه أو غيره ، حكاه أبو عبيد وابن عبد البر لعدم أهليته لقبولها كما لو كفنه منها » (١) .

وقال العلامة البهوتي : (منصور بن يونس إدريس ، المتوفى عام ١٠٤٦هـ) في كشاف القناع : « (ويشترط لملك الفقير لها) أي الزكاة (وإجزائها عن ربها : قبضه لها ، فلا يجزئ غداء الفقير ولا عشاؤهم) من الزكاة لأنه ليس بإيتاء (ولا يقضى منها دين ميت غرم لمصلحة نفسه أو غيره) حكاه أبو عبيد وابن عبد البر إجماعًا (لعدم أهليته) أي الميت (لقبولها ، كما لو كفنه) أي رب المال (منها) أي من الزكاة .. (ولا يصح تصرف الفقير) وباقي أهل الزكاة (قبل قبضها لأنه لا يملكها إلا به » (٢) .

وكذلك أوجب فقهاء المالكية تمليك الفقراء والمستحقين مال الزكاة في الأصناف الأربعة الأولى كما يظهر مما سبق في القطعتين الماضيتين من

---

(١) كتاب الفروع : ج/٢ ، ص/٦١٩ .

(٢) كشاف القناع عن متن الإقناع : ج/٢ ، ص/٢٦٨-٢٦٩ .

كتاب الفروع وكشاف القناع ، من الإحالة إلى الفقيه المالكي ابن عبد البر - رحمه الله تعالى - ، قال العلامة المالكي والناقد المعروف لتفسير الكشاف للعلامة الزمخشري ، أحمد بن محمد بن منصور الاسكندري المتوفى عام ٦٨٣هـ المعروف بابن المنير في كتابه : « الانتصاف من الكشاف » تعليلا لدخول « في » بدل « ل » في الأصناف الأربعة الأخيرة ، وثم سر آخر وهو أظهر وأقرب ، وذلك أن الأصناف الأربعة الأوائل ملك لما عساه يدفع إليهم وإنما يأخذونه ملكا ، فكان دخول اللام لائقًا بهم ، وأما الأربعة الأواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل لا يصرف إليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم » (١) .

إن كلام ابن المنير المالكي واضح الدلالة على أن أداء الزكاة عند المالكية لا يكون إلا بتمليك مال الزكاة لمن يندرج تحت الأصناف الأربعة الأوائل ، وأن يتركوا أحرارا في التصرف فيه ، وقال الدكتور وهبه الزحيلي وهو من الفقهاء البارزين في العصر الحاضر تبيينًا لوجهة نظر الجمهور من فقهاء المذاهب المختلفة نحو وجوب التمليك لأداء الزكاة في كتابه : « الفقه الإسلامي وأدلته » : « اتفق جماهير فقهاء المذاهب على أنه لا يجوز صرف الزكاة إلى غير من ذكر الله تعالى من بناء المساجد والجسور والقناطر والسقايات وكرى الأنهار وإصلاح الطرقات وتكفين الموتى وقضاء الدين والتوسعة على الأضياف وبناء الأسوار وإعداد وسائل الجهاد كصناعة السفن الحربية وشراء السلاح ونحو ذلك من القرب التي لم يذكرها الله تعالى مما لا تمليك فيه » (٢) .

---

(١) الانتصاف من الكشاف على حاشية الكشاف : ج/٢ ، ص/١٥٨-١٥٩ .
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته : ج/٢ ، ص/٨٧٥ .

دراسات و أبحـــاث :

مجتمع الجاحظ كما يصور أدبه

[الحلقة الأولى]

الأستاذ عبد الخالق الأعظمي الندوي

نسبـــه :

« أبو عثمان » عمرو بن بحر بن محبوب ، ولكن أكثر كُتّاب التراجم والأنساب وقفوا عند « محبوب » هذا ، وانفرد ياقوت صاحب معجم الأدباء بذكر جدّ بعيد له اسمه فزارة (١) .

أصلـــه :

لقد اختلف المؤرخون في أصل الجاحظ هل هو منحدر من أصل عربي أم غير عربي ؟ .. فهناك فريق من المؤرخين يبذل قصارى جهده في أنه منحـــدر من أصل غير عربي مستندًا قوله إلى رواية تروى عن يموت بن المزرّع البصري وهي : « كان فزارة جد الجاحظ أسود اللون وكان جمالاً لعمرو بن قلع » (٢) ويضيف بروكلمان إلى ذلك (٣) أن جد الجاحظ كان زنجيا أسود ، وممن أيّد ذلك أحمد أمين وغيره (٤) ، ومعنى ذلك أنه من

---

(١) راجع تاريخ بغداد : ج/١٢ ، ص/٢١٢ ، و وفيات الأعيان : ج/٢ ، ص/٤٧٠ و معجم الأدباء : ج/١٦ ، ص/٨٢ .
(٢) معجم الأدباء لياقوت : ج/١٦ ، ص/٨٤ .
(٣) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ ، ص/١٠٦ .
(٤) ضحى الإسلام : ج/١ ، ص/٢٨٦ .

الجنس الإفريقي الذي اختلط بالعرب (١) .

التعقيب :

أولاً إن دلت رواية « يموت » على شئ فإنما تدل على أن وراء روايته هذه قلع ، ليس دليلاً قاطعًا على إثبات ما يزعمون ، و وصف فزارة بأنه كان من مفاخرهم الكبرى .

ثانيًا : سواد فزارة في رأي « يموت » ليس دليلاً على أن الجاحظ قد انحدر من أصول غير عربية ، فقد يكون العربي أسود اللون ، كما قال الجاحظ في صدد ترجيح السواد على البياض (٢): «إن العرب ليس بحمر» وما جاء في هذه الرواية من أن جد الجاحظ كان جمالاً لعربي هو عمرو بن قلع ، ليس دليلا قاطعًا على إثبات ما يزعمون ، و وصف فزارة بأنه كان مولى لأبي القلمس لا يدل على الرقّ ، فالمولى يأتي بمعنى الحليف والنصير والصاحب والقريب ، يقول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي نقلاً عن السندوبي صاحب أدب الجاحظ (٣) : « وقد يكون قبيلة عربية صريحة النسب مولاة لقبيلة عربية أخرى » والذين هجوا الجاحظ من معاصريه لم يصفوه بالرقّ ولا بأنه كان مولى لأحد ، ولو كان الجاحظ من غير عربي لنزع منزع الشعوبيين وذهب مذهبهم،لكننا نراه كان يهجم عليهم وينقدهم نقدًا لاذعًا .

---

(١) أبو عثمان الجاحظ لمحمد عبد المنعم خفاجي : ص/٥٤ ، والفكرة التالية مأخوذة منه بأدنى تغيير في الألفاظ والشكل .

(٢) رسائل الجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون : ج/١ ، ص/٢١٦ .

(٣) أبو عثمان الجاحظ : ص/٥٤ .

فقد ثبت بهذا الاستعراض السريع أن الجاحظ ينحدر من أصل عربي صريح خالص . ومن بيت كريم المحتد عظيم المنزلة في الجاهلية والإسلام « وأيد عروبة الجاحظ أبو زيد البلخي (م ٣٢٢هـ) وابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ) » (١) وأشار إلى ذلك الأستاذ أنيس المقدسي بحيث يقول (٢) : « المحققون على أنه عربي من كنانة » .

مولـــده : لقد اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده ولكنهم يكادون يتفقون على تاريخ وفاته وهو (٢٥٥هـ) . يقول ابن خلكان (٣) : « كانت وفاة الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة » وقد نيّف على تسعين سنة - رحمه الله تعالى » ويقول ياقوت (٤) : « مات الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين » وجاء فيه في مكان آخر : « وأنى قد جزت التسعين » (٥) وقال صاحب تاريخ بغداد (٦) : « مات الجاحظ في المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين » ولذلك فنرى أن الأستاذ أحمد أمين يقول : « إنه عمر نحو ٩٦ عامًا فيكون ميلاده حول سنة ١٥٩هـ » (٧) .

هذا وعند ما نرجع إلى كتب المحدثين نجدهم مختلفين في تاريخ

---

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) تطور الأساليب النثرية : ص/١٦٨ .

(٣) انظر وفيات الأعيان : ج/٢ ، ص/٤٧٤ .

(٤) معجم الأدباء : ج/١٦ ، ص/٩٥ . (٥) نفس المصدر : ص/٩٦ .

(٦) تاريخ بغداد للبغدادي : ج/١٢ ، ص/٢٢٠ .

(٧) ضحى الإسلام : ج/١ ، ص/٢٨٦ .

ميلاده . يقول بروكلمان (١) : « ولد بالبصرة في أوائل سنة ١٥٠هـ-٧٦٧م » ويقول عمر فروخ (٢) : « ولد نحو سنة ١٦٠هـ-٧٧٧م » وقيل في عام ١٥٩هـ . ولكن أغلب الروايات متّجه إلى أنه ولد في أوائل سنة ١٥٠هـ ومات ٢٥٥هـ . ذلك لأن قول الجاحظ يؤيد هذا الرأي وهو : « أنا أسنّ من أبي نواس بسنة . ولدت في أول سنة ١٥٠هـ وولد في آخرها » (٣) .

نشأته : عند ما نبحث عن نشأة الجاحظ فلا نجد شيئًا واضحًا عنها إلا أنه نشأ بالبصرة (٤) « مسقط رأسة » وفي مطالع الجزء الثاني من كتابه « الحيوان » ما يشير إلى أنه كان يختلف إلى بعض الكتاتيب مع لداته من الصبية . وكانوا يتعلمون فيها القراءة وشيئًا من النحو والفقه والحساب . ويحفظون بعض القرآن الكريم وبعض الأشعار . « فأخذ الجاحظ يلتهم كل ما يسمعه فيها من فقه وعلوم شريعة ومن نحو وعلوم لغة ومن مناقشات ومحاولات بين المتكلمين » (٥) .

---

(١) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ ، ص/١٠٦ ط. دار المعارف .

(٢) تاريخ الأدب العربي : ج/٢ ، ص/٢٠٥ .

(٣) يذكر ابن خلكان نقلا عن تاريخ بغداد للبغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ) أن أبا نواس ولد عام ١٤٦هـ وهذا غير صحيح ، والصحيح أن الجاحظ ولد في المرحم عام ١٥٠هـ فبراير ٧٦٧م في خلافة المنصور العباسي (١٢٦-١٥٨هـ) (هامش أبي عثمان الجاحظ محمد عبد المنعم خفاجي : ص/٥٦ ، وهامش أدباء العرب : ج/٢ ، ص/٢٦٠ .

(٤) وفي أخباره أنه كان يبيع الخبز والسمك بسيحان أحد نهيرات البصرة .

(٥) العصر العباسي الثاني للدكتور شوقي ضيف : ص/٥٨٧ ط. دار المعارف .

وقد أشار الجاحظ في بعض كلامه إلى هذا الكتاب الذي كان يتعلم فيه ، وذلك في أثناء حديثه عن أعراض الكلب ، وقصة حادثة تتعلق بهذا الأمر وقعت لصبي من أولاد القصابين ، كان زميلا له في الكتاب .

يقول الجاحظ (١) : « وأنا - حفظك الله - رأيت كلبًا مرة في الحي ونحن في الكتاب ، فعرض له صبي يسمى مهديًا من أولاد القصابين ، وهو قائم يمحو لوحه فعضّ وجهه ، فنقع ثنيته دون موضع الجفن من عينه اليسرى ، فخرق اللحم الذي دون العظم إلى شطر خده فرمى به ملقيًا على وجهه وجانب شدقه ، وترك مقلته صحيحة ، وخرج منه من الدم ما ظننت أنه لا يعيش معه ، وبقي الغلام مبهوتًا قائمًا لا ينبس ، وأسكته الفزع ، وبقي طائر القلب ، ثم خيط ذلك الموضع ورأيته بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكتاب ، وليس في وجهه من الشتر إلا موضع الخيط الذي خيط فلم ينبح - إلى أن برئ - ولا هر ، ولا دعا بماء حتى إذا رآه صاح ردوه ، ولا بال جروًا ولا علقًا ، ولا أصابه مما يقولون قليل ولا كثير ، ولم أجد أحدًا من تلك المشايخ يشك أنهم لم يروا كلبًا قط أكلب ولا أفسد طبعًا منه ، فهذا الذي عاينت » .

ومعنى ذلك أن الجاحظ قد أكبَّ على العلم منذ طفولته اكبابا عظيمًا وشغف بالقراءة وأولع بالمطالعة وعكف على الدرس والحفظ ، وقد قال عنه أبو هفان أحد معاصريه (٢) : « لم أرقط ولا سمعت من أحب الكتب

---

(١) الحيوان للجاحظ : ج/٢ ، ص/١٤ ، ذكرت القصة بكاملها ، ذلك لأنها تدل دلالة واضحة على براعة الجاحظ في تصوير الموصوف .

(٢) معجم الأدباء لياقوت : ج/١٦ ، ص/٧٥ ، ومن أكبر الدلالة على شغفه <<<

والعلوم أكثر من الجاحظ ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنًا ما كان حتى إنه كان يكترى دكاكين الوارقين ويبيت للنظر فيها ، ثم ثنّى أبو هفان بالفتح بن خاقان وذكر بعده إسماعيل بن إسحاق القاضي » .

فقد نشأ الجاحظ وتربّى على أكتاف أمثال أبي عبيدة ، والأصمعي وأبي زيد الأنصاري ، وأخذ النحو عن صديقه أبي الحسن الأخفش ، وأخذ الحديث عن يزيد بن هارون ، والسرى بين عبدويه ، وأبي يوسف القاضي والحجاج بن محمد بن حماد بن سلمة ، والكلام عن أبي إسحاق إبراهيم بن سيار النظام المعتزلي النابه الذكر ، وبه تأثر ، وعليه تخرج في مذهبه في الكلام والاعتزال (١) .

قال الجاحظ (٢) : « طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه فرجعت إلى الاخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والأنساب فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات ، قال الصاحب بن عباد إثر هذه الحكاية :

«» بالقراءة والكتب القدّمة الطويلة التي وضعها بين يدى كتابه الحيوان ، وهي نحو مائة صفحة في تمجيد الكتب . « العصر العباسي الثاني) شوقي ضيف : ص/٥٨٩ .

(١) انظر التفصيل في معجم الأدباء ، وتاريخ بغداد ، والجاحظ حياته وآثاره لطه الحاجري ، وأبي عثمان الجاحظ الخفاجي ، والجاحظ لشارل بلات .

(٢) العمدة لابن رشيق : ج/٢ ، ص/٨٤ ، ط: دار الجيل بيروت .

فللّه أبو عثمان فلقد غاص شعر الشعراء واستخرج أرقّ من السحر » .

وإذا كانت ميوله إلى الاطلاع واستيعاب ما يقع تحت يديه من المؤلفات ، وكان قصارى همّه في مغداته ومراحته وبكوره وآصاله أن يحفظ كتابًا أو يفهم بابًا ، وكان العصر (١) الذي فيه درج وإنما هو عصر غزارة المادة وتعدد التأليف ، وازدحام المعارف ، و وفرة مختلف الثقافات،فلا غرو إذا أخبرنا الجاحظ عن نفسه ، بقوله : « لقد نسيت كنيتي لقد تغيبت ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي فقلت لهم بم أكنّى ؟ فقالوا بأبي عثمان (٢) » « ولا غرو إذا كان الجاحظ قد اتصل بكثير من علماء ونوابغ عصره ، وشهيري الكتاب والمترجمين من فرس وسريان ، فتأثر بلا ريب ذكاؤه بهذا الاختلاط ، وطالع جماع ما ترجم في أزمان المنصور والرشيد والمأمون فما كان يقع بيده كتاب إلا استوفى قراءته كائنًا ما كان حتى إنه كان يكترى دكاكين الوارقين ويبيت فيها للنظر كما قلته آنفًا ، فكان لذلك من نوابغ العالم .

عوامل تكوين شخصيته الأدبية والفنية :

تحدث دارسو الجاحظ عن عوامل تكوينه وأسهبوا فيها وأطالوا، أمثال الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد عبد المنعم خفاجي والأستاذ شفيق جبري ، ولا حاجة في هذا البحث المتواضع صغير الحجم - فيما أظن - أن أتكلم عنها وأسرد القول فيها إلا الإشارة إلى نقاط رئيسية ،

---

(١) سأتحدث عن عصره بالتفصيل في فصل مستقل إن شاء الله تعالى .

(٢) تاريخ بغداد : ج/١٢ ، ص/٢١٤ .

لكي نكون على علم تام وننطلق منه إلى منطلق آخر يتعلق بناحية أخرى من نواحي حياته ، تتركز عوامل تكوينه في نقاط تالية (١) :

١- **الحيـــاة العامة :** « نجد أن الجاحظ عاش حياته الأولى متصلاً بالحياة العامة اتصالاً وثيقًا ، متغلغلا بين طبقات الناس تغلغلاً عجيبًا، متنقلا بين هذا الإقليم وذاك ، ممارسًا لكثير من وجوه هذه الحياة ، مما لا يتصل بتلقى العلم والأدب ، ولكنه كان كبير الأثر في أدبه وعلمه » (٢) .

٢- **المربـــد :** « كان حلقة اتصال بين الحياة العربية الصحيحة والحياة العراقية الجديدة » (٣) .

٣- **المسجد :** « هي حلقات المسجد الجامع للبصرة المتصلة من ناحية بالنشاط العقلي المجرد ومن ناحية أخرى بالحياة البصرية الظاهرة والخفية » (٤) .

٤- **مساجد الأحياء والأفنية :** « مجالس العلم العامة لم تنحصر في مسجد البصرة الجامع بل كانت تنعقد في مساجد الأحياء وفي أفنية

---

(١) هذه العوامل كلها مأخوذة من كتاب الدكتور طه الحاجري « الجاحظ حياته وآثاره » وتجدها متفرقة في : أبو عثمان الجاحظ ، لخفاجي ، والجاحظ لشارل بلات والجاحظ لحنافاخوري ، والجاحظ ، لشفيق جبري ، والعصر العباسي الثاني ، لشوقي ضيف : ص/٥٨٨ وما بعدها والفن ومذاهبه ، له .

(٢) الجاحظ حياته وآثاره : ص/١٠٠ « وكان المربد سوقا تجارية وأدبية كبيرة منذ العصر الأموي » العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف : ص/٥٨٧-٥٨٨ ، ط. دار المعارف بمصر . (٣) المرجع السابق : ص/١١٠ .

(٤) نفس المرجع : ص/١١٢ بأدنى تغيير .

الدور » (١) .

٥- **الأندية الأدبية :** « هي المجالس الخاصة تنعقد في دور الأمراء والأشراف والسراة وغيرهم من أهل البصرة » (٢) .

٦- روح الشعب (٣) ، ٧- دكاكين الوارقين ، -٨- الاتصال بالنظام -

هذه عوامل رئيسية خارجية لتكوين شخصية الجاحظ الفنية والأدبية كما أن هناك عوامل داخلية وهي : كونه مرهف الحس ومفتوح المشاعر وشديد التطلع وحادّ الذكاء ، والعقل الجبار ، وسرعة الخاطر .

ثقافتـــه : كانت ثقافة الجاحظ ثقافة واسعة منوّعة ، تحيط بسائر ألوان المعرفة الذائعة في عصره ، ومصادرها كثيرة منها ما طالعه من كتب العرب واليونان والفرس ، والهنود وغيرهم ، فقد اتصل باليونان وثقافتهم من كتبهم المترجمة ، وعن طريق المتكلمين ، وبمجالسة كثير من المثقفين باليونانية ، وتأثر بخطابة أرسطو إلى حد كبير ، ولم يكن متأثرًا بالفلسفة اليونانية فحسب ، بل كان عقله الجبار ينتقد بعض الآراء اليونانية ، وينقد التراجم ، « فقد نقد كتاب « المنطق » وقال : إن أسلوبه عقيم » (٤) .

كذلك كان ملماً بالثقافة الفارسية المترجمة إلمامًا واسعًا ، ويظهر أنه كان يعرف الفارسية « أثر ثقافته الفارسية واضح في كتبه وفي مؤلفه البيان والتبيين » (٥) .

---

(١) نفس المرجع : ص/١١٢ بأدنـــى تغيير .

(٢) نفس المرجع : ص/١١٥ . (٣) المرجع السابق : ص/١٢٠ .

(٤) مقدمة كتاب البخلاء ، أحمد ظامر كوجان ط. دار اليقظة العربية للتأليف .

(٥) البيان : ج/٢ ، ص/١١٧ ، وكتاب البخلاء : ص/٧٧-٧٨ .

ولكن هناك مؤرخين ممن ينكر ثقافته الفارسية ، مثل بطرس بستاني صاحب أدباء العرب حيث يقول (١) : « يرى بعضهم أنه تعلم الفارسية وأتقنها ويستدلون على ذلك لكثرة ما ورد من ألفاظها في كتبه ولكن لا يصح الاطمئنان إلى هذا الرأي لأن لغة كانت شائعة في عصر الجاحظ لانتشار أهلها في العراق فقد يكون التقط ألفاظًا منها واستعملها في كتبه تملحا وتظرفًا دون أن يعني بدراستها وإتقانها » .

هذا وإن دققنا النظر فيه نرى أنه كان يتخطى خطوة بعيدة عن الصواب تناقض طبيعة الجاحظ وميوله إلى الاطلاع كما تناقض ما يقوله هو بعد هذه السطور « ولم يدع الجاحظ علماً معروفًا في أيامه إلا نظر فيه » (٢) .

من أجل ذلك يرى المحققون أنه كان يعرف الفارسية ويتقنها كما قال الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (٣) : « وكان الجاحظ يعرف الفارسية إذ يبدو أنه كان يتكلم الفارسية ويعرف نحوها وأدبها ويترجم منها فنراه يقول عن الزرافة : لما رأوا أن اسمها بالفارسية « اشتر كاوبلنك » وتأويل « اشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك » الضبع إلخ ، وفي الحيوان نصوص من « كليلة ودمنة » تختلف عن نصوص ابن المقفع بل كان الجاحظ يجيد اللغة الفارسية » .

فإنه قد تثقف بالثقافة العربية وأتيحت له الثقافة اليونانية وحذق الثقافة الفارسية وأمعن نظره في الثقافة التركية والسريانية وغير ذلك ، سئل أبو العينا الراوية الأخباري (٤) : « ليت شعري أي شئ كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعري أي شئ كان الجاحظ لا يحسن . [يتبع]

---

(١) أدباء العرب لبطرس بستاني : ج/٢ ، ص/٢٦٠ .
(٢) أدباء العرب لبطرس بستاني : ص/٢٦٠ .
(٣) أبو عثمان الجاحظ : ص/١١١ ، ط. دار الكتاب اللبناني بيروت .
(٤) تاريخ بغداد للبغدادي : ج/١٢ ، ص/٢١٥ .

كلمة اعتراف و تقدير

[هذه الكلمة ارتجلها العالم الكبير سعادة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ، بمناسبة زيارة سماحة العلامة أستاذنا الجليل الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ، دولة قطر ، على دعوة من معالي وزير الأوقاف الموقر ، في شهر ذي القعدة ١٤١٥هـ (أبريل ١٩٩٥م) وذلك لإلقاء محاضرات في الموسم الثقافي .

ولما ابتدأ برنامج الموسم ألقيت فيه هذه الكلمة القوية التي تحتوي على اعتراف وتقدير لمكانة سماحة العلامة الندوي ومؤسسة ندوة العلماء الشامخة التي يرأسها سماحته ويُشرف على تحقيق الأهداف الغالية التي قامت عليها منذ أكثر من قرن من الزمان ، نقدمها إلى قرائنا الكرام ، عسى أن يكون لهم فيها نوع من زاد علمي وتاريخي ، وقد نقل الكلمة عن الشريط ، مشكورًا ، الأخ الأكرم محمد إكرام الحق الندوي - حفظه الله تعالى -] [التحرير]

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينامحمد وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

أيها الإخوة : كان من نعمة الله عليّ أن تعرفت على سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الندوي ، منذ أربعة وأربعين عامًا ، حينما قدم علينا في القاهرة ، وهو في شرخ الشباب ، وذلك عام خمسين الميلادي ، كان كتابه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » قد قرأناه قبل قدومه إلى القاهرة بأشهر ، وهو كتاب يجب أن يقرأه كل مسلم ، وهو كتاب عظيم قيم ، نقلت عنه كثيرا ، ونقل عنه سيد قطب الشهيد ، ونقل عنه

الغزالي . وقرأت هذا الكتاب وأحببت صاحبه ، ثم اتصل بي بعض الإخوة الهنود ممن كانوا يدرسون في مصر ، وقالوا لي : إن الشيخ أبا الحسن علي الحسني الندوي سيصل إلى القاهرة ، فقلت : إنني في شوق إليه ، وفعلاً وصل الشيخ إلى القاهرة ، وسعدنا به ، وسعدنا بصحبته ، وسعدنا بالاجتماع إليه ، وسعدنا بزيارته ، في زقاق من الأزقة ، في شارع مصر ، والشيخ يأبى أن ينزل الفنادق ، ويأبى أن ينزل كبيرًا من الكبراء ، فنزل هو وإخوانه في شقة ضيقة في زقاق من الأزقة في شارع مصر ، قرب الأزهر ، زرت الشيخ أكثر من مرة ، واستزرناه ، مع الطلاب في بيت ، وبات معنا في ليل من الليالي ، وسهر معنا ، وعشنا مع الشيخ ، وقد تجول الشيخ في كثير من المدن وكثير من القرى ، فكانت أياما مباركة ، التقى فيها كبار رجال الدعوة ، كالسيد قطب - رحمه الله تعالى - الذي كتب مقدمة كتابه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » وأحمد أمين الذي كتب مقدمة على الكتاب ، باعتباره رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر ، التي طبعت الطبعة الأولى للكتاب ، وكانت مقدمة عادية ، وبصراحة : إنه قصر في حق الشيخ ، فكتب سيد قطب الشهيد مقدمة للكتاب ، وكتب يوسف محمد موسى ، وكتب الأستاذ أحمد الشرباصي ، وكل هؤلاء التقوا بالشيخ في عدد من المحاضرات والزيارات ، وهذا الأستاذ بهي الخولي - رحمه الله تعالى - الذي التقى به ، والتقى به الاخوان ونصحهم بمعروف في رسالته : « أريد أن اتحدث إلى الإخوان » كان الشيخ قد اعتنى بتأليف عدد من الرسائل تحت عنوان : « إلى الإسلام من جديد » ومن بينها رسالته : « من العالم إلى جزيرة العرب ،

ومن جزيرة العرب إلى العالم » تخيل فيها الشيخ أن العالم يهدد جزيرة العرب ، ويسألها أين رسالتك يا جزيرة العرب ؟ فأنت التي أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، وأنت التي بعثت رجالاً ، ليخرجوا الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وأول مرة قرأنا كلام ربعي بن عامر ، وما كنا نعرفه ، واهتم به وأعطاه القيمة ، وأظهره في رسائله وفي كتاباته ، فأصبحنا كلنا نتحدث عن ربعي بن عامر : « الله ابتعثنا ليخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله » ولقد قال الشيخ الغزالي وهو أحد الأدباء ، حينما قرأها : هذا الدين ، لا يخدمه إلا نفس الشاعر ، وكلامه ليس شعرا ولكن فيه أسلوب الشاعر ، استنطق الجزيرة العربية بالرسالة ، وكذلك كتب رسالته الشهيرة « اسمعي يا مصر » بين فيها أن حفر قناة السويس كان أكبر حادث في التاريخ العصري ، غيّر مجرى التاريخ ، وأحدث انقلابا في السياسة والتجارة ، ولكن من يستطيع أن ينكر أن شقاء الأمم الشرقية كان أعظم من سعادتها ، وأنها لم تجن من قناة السويس إلا عبودية واستعمارًا ، والعالم الآن في حاجة إلى قناة أخرى ، قناة التعارف الصحيح ، والتبادل المتوازن ، وإليك يا مصر القيام ، بهذه المبرة العظيمة لمكانك الجغرافي ، وأهميتك السياسية ، وثروتك الثقافية ، ومركزك الروحي ، وللشيخ عدد من الرسائل ، تحت عنوان إسمعيات ، اسمعي يا مصر ، اسمعي يا سورية ، اسمعي يا إيران ، اسمعي يا زهرة الصحراء ، قرأناها وسمعنا منه المحاضرات ، فسمعنا ، أن الإسلام ليس مجرد حماس ، أن الإسلام ليس مجرد مظاهر ، ولكن الإسلام قلب يخفق ، وروح دافقة تتدفق بالإيمان ، إن الإسلام هو الذي حرك

الصحابة لفتح العالم ، الذين أقاموا تلك الحضارة العظيمة ، بهذا الإيمان النابع من القلب،كنت عرفته في مصر ثم عرفته بعد ذلك حينما زرنا ندوة العلماء ، حينما دعانا الشيخ لحضور مهرجانها بمناسبة مرور خمسة وثمانين عامًا ، على تأسيس ندوة العلماء ، كنت حضرت مع عدد من العلماء والمشايخ كالشيخ عبد المعز عبد الستار ، وشيخنا الدكتور عبد الهادي محمود -رحمه الله تعالى- ، والشيخ الذهبي ، والشيخ الحلبي والشيخ الأنصاري -رحمه الله تعالى- ، والشيخ أحمد عبد العزيز المبارك ، وكثير من الدعاة والعلماء ، اجتمعوا في ندوة العلماء ، بهذه المناسبة الكريمة .

وندوة العلماء أيها الإخوة ! قد أسسها العلماء الربانيون على شعار الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع ، والجمع بين الإيمان الراسخ والعلم الواسع ، كانت مشكلات المدارس الدينية والجامعات الدينية ، في العالم الإسلامي ، أنها تعيش على مشكلات قديمة ، تعيش في مشكلة العصر وفي تيارات العصر ، ولكن ندوة العلماء ترحب بكل قديم صالح وجديد نافع ، إنها تجمع بين الإيمان الراسخ والعلم الواسع ، شعارها « خذ ما صفا ودع ما كدر» تربية متكاملة ، إيمانية وأخلاقية ، هذا ما يتميز به أبناء ندوة العلماء ، الذين يعتز كل منهم إذا تخرج من هذه الدار، اعتزازا بهذه الندوة ، التي أثرت في إيمانه وسلوكه ، في تعامله مع الله وتعامله مع الناس ، قد تربى في جامعة ندوة العلماء رجال ، تربوا على الشيخ وعلى شيوخه كالعلامة السيد سليمان الندوي ، والعلامة شبلي النعماني ،وأخوه الدكتور السيد عبد العلي الحسني ، وأبوه الشيخ عبد الحي

الحسني - رحمهم الله تعالى - تربى أبناء الشيخ و تلاميذه على العلم والإيمان ، وهذا ما نحتاج إليه ، والإيمان ليس كلاما يقال أو دعوي يدعى ، الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل ، وحينما زرنا ندوة العلماء ، عرفت قيمة ما قاله الداعية الكبير الشيخ علي الطنطاوي ، حينما زار ندوة العلماء ، وكتب في سجل الزيارات ، إنني أتمنى لو رجع بي الزمان وعدت شابا وطالبا أتعلم في هذه الدار من جديد ، واقتبس منها وشيوخها ورجالها ، كان الشيخ علي الطنطاوي على حق ، حينما كتب هذا الكلام ، ولا شك فإن ندوة العلماء تصنع العجائب ، تصنعها في العلم والإيمان ، كانت هذه زيارتي لهذه المؤسسة العلمية الكبرى بمناسبة مرور خمسة وثمانين عامًا على تأسيسها ، حضر فيها آلاف من المسلمين والهندوس ، وزرت بعد ذلك الشيخ ، و زرت الندوة أكثر من مرة ، وزرتها حينما ذهبت أنا وإخواني الأساتذة للحضور في مؤتمر : « الإسلام والمستشرقون » الذي عقد في مجمع دار المصنفين بأعظم كره ، ومرة أخرى بدعوة من سماحة الشيخ لأسبوعين لإلقاء بعض المحاضرات ، والعيش في هذا الجو الروحاني الرباني العلمي ، وعشنا مع الندوة ، وعشنا مع كتب الشيخ ، وللشيخ كتب قيمة ينبغي أن تقرأ وتدرس ، أنا أصرح للإخوة الذين يحضرون ويسمعون كلامي هذا ، بأن يقرأوا كتب الشيخ ، وهي كتب لها قيمة خاصة ، وهي نتيجة دراسات طويلة ، ونتيجة المعايشة للتراث من جانب ، وللفكر العالمي من جانب ، أكرمه الله بعديد من اللغات ، فلا يقرأ في العربية فقط أو الأردية والإنجليزية فقط ، إنه جمع بين كتب التراث

وكتب الحديث ، رزقه الله البصيرة ، ورزقه الملكة والقدرة والتأمل في الأحداث ، والسنن ، يتجلى ذلك في كتبه : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » و « روائع إقبال » وحضرنا حينما ألقى في كلية دار العلوم في القاهرة محاضرة حول العلامة محمد إقبال ، إنه ألف كتابه القيم « رجال الفكر والدعوة في الإسلام » وهو كتاب صريح في مضمونه ومادته ولغته ، وفي جزئه الأول أظهر الشيخ ، أن الإسلام كان قادرًا على أن يُبرز رجالا في كل حين ، يسدون الثغر ، ويلبون حاجة الأمة ، يعني أن الأمة تحتاج في كل عصر إلى مفكر يظهر ، وتحتاج أحيانا إلى شخصية ربانية وروحية ، وأحيانًا تحتاج إلى قائد ، مثل صلاح الدين الأيوبي ، وهكذا برز في كل وقت من الأوقات الرجل المناسب في الوقت المناسب ، ليقوم بالعمل المناسب ، في تجسيد حياة الأمة ، وحدث عن الغزالي وعبد القادر الجيلاني ، وكثير من العلماء الربانيين الراسخين في العلم والإيمان ، ظهرت أجزاء عديدة لهذا الكتاب ، وله عدة كتب معنية بالتاريخ ، وكتابه : « الأركان الأربعة » حدث فيه عن الصلاة والزكاة والصوم والحج ، وكتابه : « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » وكتابه : « الطريق إلى المدينة » وكتابه : « ربانية لا رهبانية » تحدث فيه عن الربانية وما لها من دور في الإصلاح والتزكية ، ولكنه اعتبر ما يسمونه بالتصوف الحق ، ربانية لا رهبانية ، إنني أنصح أن تقرأوا كتب الشيخ وأقول لأصحاب المكتبات : أن يحاولوا توفيرها ويقدموها إلى الناس .

الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي أحد الأقطاب وأعلامهم في هذه

الأمة ، وعقيدته من سلف هذه الأمة ، حقيقة إنه يعيش حياة ربانية روحانية خاصة ، وهو رجل عاش الله ، وعاش معه ، ولهذا أحبه المسلمون في كل مكان ، إن الرجل الذي تجتمع عليه الكلمة ، هو الشيخ أبو الحسن علي الندوي ، ما رأيت مسلما يكره هذا الشيخ ، إلا من قد فقد عقله ، وكل مسلم عنده ذرة من الإيمان يحب العلامة الندوي ، وأنا أرى حب العلامة الندوي من علامات الإيمان ، وعلامات النصح لهذه الأمة ، فهو أحد الربانيين في هذه الأمة ، ولذلك اختاره المسلمون في جامعات شتى ، وجميعات ومجامع علمية وفقهية ، وهو رئيس المركز الإسلامي في جامعة أوكسفورد ، وقد تحدث ولي عهد بريطانيا في مركز أوكسفورد عن الإسلام والغرب حديثًا تحدث عنه العالم كله ، وهو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وهو رجل قد نذر حياته لله ، وقد نذر أن يصحح مسار هذه الأمة ، ويجدد إيمانها ، ويعيد ثقتها بالله وبدينها .

هو مؤرخ ليس ككل مؤرخ ، بل إنه لا يريد من الدنيا شيئًا ولا يقصد منها شيئًا ، وهو كالشعاع الذي يمر ويضئ الدنيا ، ولا يأخذ منها شيئًا ، أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزى شيخنا أبا الحسن علي الحسني الندوي خير ما يجزي به الأئمة والصادقين والعلماء العاملين ، والدعاة الربانيين ، وأن يحشره ويحشرنا معه في جنة الرضوان ، قال الله تعالى : ﴿ فأولئك مع الذين ، أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٦٩]

أعلام التاريخ الإسلامي :

السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد

يقوم برحلة الحج في القرن الثالث عشر الهجري

بقلم : سعادة الدكتور سمير عبد الحميد إبراهيم
عمادة البحث العلمي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

١١١

بعد ما افتى علماء الهند بإبطال الحج ، خوف الهلاك :

دأب بعض علماء الهند المسلمين قبيل وبعد سنة ١٨٠٠م-١٢١٥هـ على إصدار فتوى تبطل فريضة الحج بدعوى خطورة السفر والتعرض للتهلكة في البحر ، وفي تلك الفترة ظهر أحمد بن عرفان شخصية الجهاد الإسلامي (١٢٠١هـ-١٢٤٦م) الذي قاد رحلة الجهاد ضد السيخ والإنجليز بعد أن أسس دعوته الرامية إلى تطهير العقيدة الإسلامية من الشرك والبدعة ، وإلى التوحيد الخالص ، ونبذ كل أنواع الشرك .

وكانت دعوته في الهند شبيهة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية ، برغم عدم وجود صلة من أي نوع بينهما ، إلا أن كلاً منهما اعتمد في دعوته على نبع الإسلام الصافي ، ومن هنا تشابهت الثمار شكلاً وموضوعًا ، جوهرًا ومظهرًا .

تصدى الداعية شاه عبد العزيز - يرحمه الله - لفتوى إبطال فريضة الحج ، وامتدح ردود عبد الحي وإسماعيل وهما رفيقا الإمام سيد أحمد شهيد في الدعوة والجهاد ، وقتال الكفار ، وقال : إن من يفتى بسقوط فريضة الحج

إنما يفتح الباب للضلال ، ويعطل أحكام وفرائض الدين وأركان الإسلام ، فاليوم يُسقط الحج وغدا يُسقط الصوم وبعد غد يسقط الصلاة وهكذا .

وسط هذه الظروف قرر سيد أحمد شهيد دعوة الناس لأداء فريضة الحج فتجمعت من حوله جماعة خيرة من علماء ومشاهير الهند ، ولم يحدث في تاريخ الهند أن قامت جماعة بهذا الحجم والعدد بالذهاب إلى الحج والتحرك داخل اطار واحد تجمعها الألفة والمحبة ، ويحدوها الأمل في الحصول على رضا الله ٧٠٠ حاج ، وقد أشاعت هذه الجماعة جواً إسلاميًا روحانيًا أنى تحركت ، وأنى اتجهت ، فقد راحت تمسح من طريقها شوائب الشرك وتمحو عادات الجاهلية ، ومساوئ الفسق والفجور .

كتب سيد أحمد شهيد خطابات إلى جماعته في دهلي وسهارنفور وغيرهما ، جاء فيها :

« نحن ذاهبون لأداء فريضة الحج ، فعلى من ينوى الحج أن يرافقنا ، و ليعلم الجميع أننا لا نملك مالاً و لا متاعًا ، و لكننا متوكلون على الله وحده ، وسوف نعتمد على الله ثم على جهدنا وما نكسب من عمل نؤجر عليه ، أما النساء والضعفاء فيكفلهم القادرون منا على العمل » .

وتجمعت القوافل في بلدة « رائ بريلي » موطن سيد أحمد ، كما قدمت قوافل أخرى بقيادة شاه إسماعيل ، وقافلة بقيادة عبد الحي ، وقدم أفراد عديدون من بدن متفرقة وصل عددهم أكثر من أربعمائة شخص وكان ذلك يوم الاثنين آخر شوال ١٢٣٦هـ الموافق ٢٠ يوليو ١٨٢١م .

أشرف على شئـــون الحجيج مولوي محمد يوسف بهلتي بينما تولى عبد الحي وعظ الناس لأربعة أيام ، يوضح لهم مساوئ الشرك والبدعة

ومحاسن التوحيد والسنة وفضائل الحج والعمرة ، ثم خطب سيد أحمد شهيد في الناس ، فقال :

« أخوة الإسلام ، إن كنتم خرجتم من دياركم بنية الحج والعمرة ابتغاء مرضاة الله ، فيجب عليكم أن تتحدوا وأن تتفقوا ولا تفترقوا ، لأنكم أبناء أم واحدة وأب واحد ، وأن يعين الواحد منكم أخاه ، وأن يخدم رفيقه ، ولا يخجل من ذلك ، بل يرى في خدمة أخيه المسلم عزة ، وفخارًا » .

انطلقت قافلة الحجيج في طريقها البرى بين مدن الهند المختلفة تبلغ رسالة التوحيد وتقضى على الشرك بكل أنواعه من « بنارس إلى مرزافور ، وعظيم آباد ، وحتى منطقة التبت ، وأخيرًا إلى كلكتا » وهناك أثمرت الدعوة فأعلن الكثير من الكفار إسلامهم وأغلقت الخمارات وكسدت تجارة الشراب والخمر ، وتراجع السفور وتحولت قاعات إقامة مجالس التعزية لإنشاد الشعر والبكاء وضرب الصدور إلى مساجد تقام فيها الصلوات ، ومن مدينة كلكتا وفي شهر صفر ١٢٢٧هـ-نوفمبر ١٨٢١م بدأت الترتيبات للرحلة البحرية إلى مكة المكرمة ، وتوزعت القافلة على عشر سفن لكل منها أمير ، وركب سيد أحمد شهيد في سفينة كان يقودها عبد الرحمن الحضرمي وهو من ميناء « مخه » ، بينما كان يقود سفينة فتح الباري ربانها عبد الله بلال العربي وسفينة عطية الرحمن ربانها محمد حسين التركي ، ويقال إن هذه السفينة كانت مجهزة بسبعة مدافع ويقال : إن عدد القافلة يصل إلى ٦٩٢ يرافقهم ١٠٧ من المساكين ، وحمل الحجيج ما يحتاجون من طعام على قدر الاستطاعة ، وعلى ظهر كل سفينة تم تقسيم العمل بين رجال القافلة كما اهتم أمراء كل سفينة

بدروس الوعظ والإرشاد ، ومرت السفن على ميناء « ألفى (اليى) وهو ميناء مشهور في جنوب غرب الهند ، ثم كاليكات ، ثم جزر لكاديب وأمين ديب » .

وعمت الفرحة أهل القافلة حين ظهرت أرض عدن للعيان ، وارتفعت أصوات التكبير والتهليل والشكر لله الذي منّ عليهم برؤية أرض الجزيرة العربية .

نزل سيد أحمد شهيد مع رفاقه إلى عدن ، واستقبلوا من قبل كثير من الناس ، وحطت القافلة في أحد المساجد ، ومن عدن وعبر باب سكندر أي باب المندب (المندوب) كما تذكر المصادر الأردية ، دخلت القافلة إلى البحر الأحمر و وصلت إلى ميناء مخه (مخا) وأراد ربان سفينة سيد أحمد زيارة أهله في مخه والبقاء لمدة شهر ، وهكذا بقى سيد أحمد شهيد مع رفاقه في مخه .

وفي مخه علم أن القاضي محمد بن علي الشوكاني محدث ، قد جمع بعض الأحاديث الموضوعة في كتاب « الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة » فأمر سيد أحمد عبد الحي بالحصول على نسخة ، فطلبوا من قاضي مخه مساعدتهم وذكر لهم أنه سيرسل إلى صنعاء ، وتم تدبير الحصول على الكتاب ، وهكذا وصل كتاب القاضي الشوكاني في الأحاديث الموضوعة إلى الهند .

بعد شهر تحركت القافلة من ميناء مخه إلى ميناء الحديدة حيث كان أحد التجار الهنود في انتظار سيد أحمد شهيد ، فاستضاف القافلة لفترة ، وبعد ذلك بأربعة أيام وصلت القافلة إلى محاذاة يلملم ، واستعد

الحجيج للإحرام والتلبية والدعاء لله ، وصلى الجميع ركعتي شكر .

كان وصول سفينة سيد أحمد إلى ميناء جدة يوم الأربعاء الثالث والعشرين من شعبان ، وكان بعض رفاقه ممن سبقوه في انتظاره ، بينما توجه البعض الآخر إلى مكة وقدم للسلام عليه إخوان من أمراء حيدرآباد اللذين كانا يقيمان في جدة ويعملان بالتجارة-قدما للحج قبل سنة أو أكثر ، وهما نواب محمود نوازخان وسلطان حسين خان ، كما قدم المطوف محمد رئيس من مكة ليتولى مساعدة القافلة وأثبت أنه أحق من أي مطوف آخر بذلك ، بقي سيد أحمد في جدة خمسة أيام استفسر خلالها عن بقية الحجيج واطمأن على أحوالهم .

وفي التاسع والعشرين من شعبان سنة ١٢٢٧هـ حطت القافلة بالقرب من مكة المكرمة وكان من وصلوا قبلاً قد عادوا لاستقبال قائد القافلة ومن معه حاملين ماء زمزم ثم سعوا بين الصفا والمروة ثم حلقوا وتحللوا من إحـــرامهم .

وهكذا مرت عشرة أشهر منذ أن خرج سيد أحمد من بيته ، ونزلت القافلة بالقرب من باب العمرة في بيوت استأجروها ، وكانت النفقات اليومية في مكة كالتالي :

دقيق : ٢٠ ريالا (سعر الدقيق ١١ كيلا بريال واحد) .

بضائع مختلفة : من ٦ ريالات إلى ١١ ريالاً .

خشب (وقود) : ٢ ريالات .

وقد وصلت النفقات اليومية حوالي ٣٩ريالاً ، ونظرًا لضيق ذات اليد بدأوا في طبخ العدس بدلاً من اللحم ، وكان شاه إسماعيل يتولى أمر

شراء وإرسال الأرز والدقيق والعدس وغيرها ، وفي البداية كانوا يطبخون اللحم في فطور رمضان وفي السحور ، ثم أمر سيد أحمد بعد ذلك بطبخ العدس كل يوم ، وفي اليوم الثامن بطبخ اللحم مرة واحدة ، وكان السيد أحمد ورفاقه يلتقون كل يوم بعلماء وشيوخ مكة المكرمة حتى صلاة العصر ، وبعدها يتجهون إلى الحرم للصلاة ويبقون حتى المغرب ، وفي العشرين من رمضان ليلة الواحد والعشرين بدأ الاعتكاف في الحرم واستمر ذلك حتى طلوع هلال شوال ، وفي يوم العيد التقى سيد أحمد شهيد بعلماء وشيوخ وعمداء مكة المكرمة .

بدأت القافلة في أداء مناسك الحج في الثامن من ذي الحجة سنة ١٢٢٧هـ وفي أواخر المحرم عقدت القافلة العزم على زيارة المدينة المنورة ، ولم يسافر شاه إسماعيل إذ اضطر للبقاء في مكة لمرض والدته وللاشراف على المرضى الآخرين والضعفاء ، وتم استئجار ٥٠ ناقة عن طريق المطوف محمد رئيس وشيخ الجمالين ، و١٢٠ ناقة عن طريق أحمد باشا و ٧٥ ناقـــــة استأجرها سلطان حسين خان ومحمود فواز خان حيدرآبادي .

ورأى سيد أحمد شهيد أن تُترك الأسلحة في مكة قائلاً : « إن كل رجل في جزيرة العرب له مكانة سامية في قلوبنا ولا يمكن أن نواجههم بمثل هذه الأسلحة » ونزع خنجره من وسطه وألقى به على الأرض قائلاً :

« إذا ما هاجمنا أحد فسوف نضع أمامه كل متاعنا ، فالله هو الرازق وسوف يرزقنا إذا ما نقص منا شئ » وسمع رفاقه هذا فنزع كل واحد سلاحه وهكذا خرجت القافلة من مكة يوم الاثنين الخامس من صفر ونزلت في البداية في وادي طوى ومنه إلى وادي فاطمة ثم خليص وهناك أقاموا

صلاة الجمعة .

وتعرضت القافلة لبعض المشادات مع بعض البدو فقام شيخ الجمالين بحماية القافلة والتفاهم مع المهاجمين ، و وصلت القافلة إلى وادي صفرا ، وهو موطن شيخ الجمالين .

بقيت القافلة في وادي صفرا ليوم ومن وادي صفرا إلى وادي حنيف .

و في وقت غياب الشفق وصلت القافلة إلى مكان تمكن فيه الحجيج من مشاهدة المسجد النبوي ، فشاع جو من الإيمان ، وتوجه الجميع إلى الله بالشكر والدعاء ، وفي الساعات الأولى من الليل وصلت القافلة إلى حدود المدينة المنورة فاستراح الجميع عند « مناخه » واغتسلوا وغيروا ملابسهم ، وفي الصباح حين فتحت بوابة المدينة قدم مصطفى داغستاني المعلم الذي أوصاه محمد رئيس بالقافلة ، فدخل مع القافلة ، ومن باب السلام دخلت القافلة الحرم النبوي ، فأدى الجميع الصلاة ثم سلموا على النبي -ﷺ- .

نزل سيد أحمد شهيد في بيت سيد سمهودي مؤلف كتاب « وفاء الوفاء في أخبار المصطفى » وهو قريب من باب الرحمة (باب جبريل) ويقال : إن عثمان - رضي الله عنه - استشهد في هذا البيت ، وقام رفاقه باستئجار الأماكن قريبة من هذا البيت ، وفي المدينة زارت القافلة بعض المآثر مثل مسجد قبا ، والبقيع ، ومقابر شهداء أحد وغيرها .

ومن العجيب أن يتهم أحد رفاق سيد أحمد شهيد وهو مولوي عبد الحق نوتنوي بأنه سلفي قح وكان الرجل حاد المزاج لا يبالي بأحد في رد اءبطال البدع التي شاعت وانتشرت آنذاك وكانت تخالف الشرع والسنة

فاتهمه الناس بأنه من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب برغم أن الرجل لم يصل إلى نجد ، ولم يكن قد تعرف على أحد من أتباع الشيخ ، ولكنه رجع إلى النبع الصافي للدين وهو نفسه النبع الذي نهل منه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته الناس إلى التوحيد الخالص .

وفي مكة التقى الشيخ ورفاقه بأئمة المصلّيات الأربعة في الحرم ، و حل شهر الصوم ثانية على القافلة ، فقضى المسلمون هذا الشهر مثلما قضوا مثيله في العام السابق ، وفي الخامس عشر من شوال استعدت القافلة لرحلة العودة ، فذهب قاضي حميد الله الميرتهي إلى جدة لتنظيم أمر السفن إلا أن أهل كلكتا اقترحوا أن يسافر معهم في سفينتهم المسماة (ملك البحر) ، وهكذا وفي غرة ذي القعدة سنة ١٢٢٨هـ العاشر من يوليو سنة ١٨٢٣هـ طاف سيد أحمد شهيد مع أصحابه طواف الوداع ، و ودعوا البيت الحرام وحانت ساعة الفراق وانهمرت الدموع غزيرة ، وصلت القافلة الميمونة في اليوم التالي إلى جدة وركب الحجاج السفن عائدين إلى ديارهم ، حيث بدأوا رحلة الجهاد بالسيف ضد أعداء الإسلام بعد أن عمرت قلوبهم بنور الإيمان ، وتدربوا على جهاد النفس ومكافحة الهوى و وساوس الشيطان ، واشتهر كفاحهم ضد أعداء الإسلام واءقامتهم دولة إسلامية سلفية في شبه القارة الهندية .

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه • فمنهم من قضى نحبه • ومنهم من ينتظر • وما بدّلوا تبديلاً ﴾ [قرآن كريم]

الشيخ سعيد النورسي ودوره
في إنقاذ تركيا من الردة الفكرية (١)

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسن إلى يوم الدين وبعد !

فإن الوضع الذي واجهه الأتراك العثمانيون في أواخر القرن التاسع عشر رغم الدولة الحرة واسعة الارجاء ، هو أنهم فقدوا روح الثقة بالنفس وعرفان الذات بمر العصور وكر الليالي والدهور ولم يكن فيهم حماس القرون الأولى ولا قوة الإيمان واليقين لإبداء العلماء وزعماء الدين ضعفًا ، وقصورًا في توجيه الأمة والبلاد توجيهًا علميًا وفكريًا ، وفوق كل ذلك فقد استغل السلاطين - إلا من عصم ربك - اسم الدين والخلافة لصيانة مصالحهم الخاصة وتحقيق رغباتهم ، زيادة على ذلك كانت الحضارة الغربية فائضة بالروح الجديدة والطاقات الجديدة ، وممتلئة بالحماس الجديد والآمال الجديدة ، وجدت وكلاءها في تركيا فكريًا علميًا في صورة ضياء كوكب ألب وكمال اتاترك وكان أولهما رائد التنور الفكري الغربي ، وقد تكهن في سنة ١٩٠٠م بانقراض الدولة العثمانية واضطراب حبلها ،

---

(١) كتب هذا المقال بمناسبة ذكرى الشيخ النورسي في تركيا .

والثاني : أعلن بإلغاء الخلافة وقام بعلمنة البلاد ، حتى أصبحت تركيا تفقد طابعها الإسلامي ومزاياها الإسلامية التي كونتها واحتضنتها منذ زمن بعيد (١) .

ولكن المتقصى للتاريخ الإسلامي وذلك من سنة الله في هذا الكون ، وحقيقة من حقائق التاريخ الإسلامي لا يرى ثغرة ولا ثلمة في جهود الإصلاح والتجديد ولا يجد فترة لم يظهر فيها من يعارض التيار المنحرف ويكافح الفساد الشامل ، ويرفع صوت الحق ويتحدى للقوى الظالمة وعناصر الفساد ، ويفتح نوافذ جديدة في التفكير ، وذلك شأن الإسلام فإنه - وإن كان مؤسسًا على عقائد ثابتة وحقائق خالدة - زاخر بالحياة حافل بالنشاط له من الحيوية معين لا ينضب ومادة لا تنفد ، صالح لكل زمان ومكان ، وعنده لكل عهد جديد من أطوار الحياة ولكل جيل جديد من الأجيال البشرية ولكل عهد مستأنف من عهود التاريخ ، ولكل مجتمع عصري من مجتمعات البشرية مدد لا يقصر عن الحاجة ولا يتأخر عن الأوان .

من هذه الشخصيات شخصية طلعت على أفق تركيا باسم بديع الزمان سعيد النورسي الذي عاش تلك المرحلة الدقيقة التي تنتقل فيها تركيا من طور إلى طور، وكان مرهف الحس وذكيا فطنًا ، فتفرس الخطر المحدق ببلاده وساءه ذلك الوضع السائد فيها من فشو الجهل والبطالة و وجود الأمية في الأوساط الشعبية وخمود تلك الشعلة الإيمانية والغيرة الدينية

---

(١) راجع للتفصيل الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية .

التي كانت متأججة في الشعب التركي من ذي قبل فشمّر عن ساق الجد لمحو الأمية ونشر العلوم الدينية فعكف على دراسة القرآن دراسة عميقة ككتاب خالد مليىء بالحيوية والنشاط يحل المشاكل والقضايا ويفك الالغاز وصالح لكل زمان ومكان . كما كانت له اليد الطولى في العلوم الجديدة من التاريخ والفلسفة والرياضيات والفلكيات وغيرها حتى أصبح جامعًا بين العلوم القديمة والجديدة .

يشار إليه بالبنان ويجله كبار العلماء في عصره وكان متصديا للدرس والإفادة . والظروف في البلاد في طور الانتقال وسيل الحضارة الغربية ، يجرى فيها من غير هوادة ولا رحمة فخرج من الزاوية العلمية وخاطب أصحاب السياسة والحكومة بمقالاته وكلماته التي رفع فيها اللثام عن وجه الخطة التي دبرتها عقول الأعداء في الدولة العثمانية بإعلان القانون الجديد وشرح المفهوم الصحيح للحرية في الإسلام وطالب من الدولة العثمانية تنفيذ الشريعة في البلاد .

شارك في الحرب العالمية الأولى بنفسه ثم أبلى بلاءًا حسنًا في جهاد قنتاس ضد روسيا . وألقى عليه القبض فيه وبقى أسيرًا سنتين عندهم ثم رجع إلى بلاده بعد ركوب الأهوال وتحمل المشاق .

نظرًا إلى هذه البطولات والتضحيات أعجب به السياسيون وألح عليه كمال أتاترك بالذهاب إلى أنقرة سنة ١٩٢٢م واستقبل استقبالاً حارًا على المحطة لكنه ما لبث أن عثر على تلك التعديلات التي قام بها كمال والتي تجعل الشعب التركي كله فريسة سائغة للزندقة والإلحاد . فأعد مذكرة للتقديم إلى أعضاء البرلمان حث فيها على التمسك بالشريعة الغراء

وأثار فيهم شراراة الإيمان الكامنة فتأثر ستون عضوًا من البرلمان وعادوا إلى الصلاة . ويذكر الشيخ هذا السفر في رسالة « الطبيعة » يبدى فيها تأسفة وقلقه .

« دعيت لزيارة « أنقرة » سنة ١٣٣٨هـ - ١٩٢٢م وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي إلا أننى أبصرت خلال موجة الفرح هذه زندقة رهيبة . تدب بخبث ومكر وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها فتأسفت من أعماق روحي وصرخت مستغيثًا بالله العلي القدير ومعتصما بسور هذه الآية الكريمة : ﴿ قالت رسلهم أ في الله شك فاطر السماوات والأرض ﴾ .

من هذا القول الرهيب الذي يريد أن ينقض على أركان الإيمان ويعمل معاوله في اسه وأصوله فجئت ضمن هذه الرسالة ببرهان قوى حادّ قاطع يقطع رأس تلك الزندقة ويدحرج أشلاءها . باللغة العربية واستقيت معانيها من نور هذه الآية الكريمة لإثبات بداهة وجود الله سبحانه و وضوح وحدانيته (١) .

عاد الشيخ من هذا السفر كئيبا حزينًا يأخذه اليأس من هذا الرجل الذي كسب سمعة كقائد حربي ممتاز ولقب بالغازي في بعض المعارك . ولكنه كان رجلا لا دينيًا ملحدا منذ نعومة أظفاره لا يمت بصلة ما إلى العقيدة الإسلامية والشريعة الغراء كما يصفه « عرفان أوراكا » في كتابه

---

(١) كليات رسائل النور : ج/٢ . اللمعات : ص/٢٦٧ .

« أتاترك » الذي ألفه عن اعجاب وإخلاص بشخصية كمال ، يقول : « كان قليل الاختلاط غير محبب بين الأصدقاء في حياته المدرسية وكان يتسلى بالخمر ويشغل نفسه بها فإنه لا يجد ما يسلى به نفسه وروحه كالإيمان بالله واليوم الآخر ، لأنه كان لا يؤمن بهما » ويقول في موضع :

« قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين فإنه منافسه الأكبر وكان يعتقد من صغره انه لا حاجة إلى الله انه اسم غامض خداع ، مجرد عن كل حقيقة وكان لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس .

إن نشأته الفكرية وتطورها وميوله وطبيعته جعلت تركيا تؤول إلى العلمانية والثورة على الماضي والتغرب المتطرف والدكتاتورية العسكرية ، وأقام في « أنقرة » حكومة مستقلة ، وألغى الخلافة وسلطنة آل عثمان ، وكان أول رئيس لها سنة ١٩٢٤م .

وبذلك أراد تحويل البلاد رأسًا على عقب وجند لذلك كل طاقاته وقام بأعمال العنف والتعسف ليخلع الشعب التركي جلباب التشخص الإسلامي وليتخلى عن الحضارة الإسلامية التي ورثها أبا عن جد واحتضنها حبا وكرامة » .

إن الشيخ شاهد هذه الظروف بعيني رأسه بل اكتوى بنارها ولعب دورًا فعالاً فيها ولكنه امتاز بين أقرانه بأمرين .

الأمر الأول : هو فكره الحصيف ونظرته الثاقبة ورأيه السديد في تلك الأوضاع السائدة على تركيا ما عدا جهاده الطويل وتضلعه من العلوم القرآنية والقيام بخدمتها ونشرها ، إنه أمعن النظر على الأحوال ونزل في أغوارها وعثر على مواضع الضعف فيها وعرف المنافذ التي تهب فيها

الرياح العاتية والعواصف الهوجاء التي تقضى على الحديقة الغناء وتأكل أوراقها الخضراء كما تأكل النار الحشيش ، فوضع اليد على الوتر الحساس ، إنه رأى على رأس قائمة هذه المواضع الضعيفة تلك الفكرة الخاطئة والحركة الهدامة التي نشرت وأنشئت باسم « القومية » لأن كل حركة للقومية في العالم الإسلامي اتخذت فلسفة لنظامها وتطورت إلى عقيدة ، كانت تحديا للإسلام وحاولت أن تسيطر على تلك المساحة للحياة الإنسانية التي كانت خاضعة لحكم الإسلام وسيادته واشتملت هذه الحركة على العقائد والأخلاق والعواطف ومشاعر الحب والكراهية والولاء وعدم الولاء ورباطة الجأش والحماس ، وجميع العناصر والأجزاء التي تشتمل عليها الأديان السماوية ، وتعتبرها جزءًا منها ، ولأجل ذلك كانت كل حركة من هذه الحركات التي لها هذا الشأن والاحتواء والمضمونات والتأثير موضع حذر بل موضع خطر لدى المؤمنين بالدين السماوي الأخير ، الدعاة إليه عن بصيرة وإيمان ، فبادروا إلى محاربتها باعتبارها منافسة لهم لأن نشوءها وانتشارها يحملان في أعقابهما أخطارًا تفكك الوحدة الإسلامية ، تنتشر الإلحاد والضلال من جرائها ، وكانت مقاومتها وكبح جماحها الواجب الأول في نظرهم .

وتستوى في هذا الأمر حركات القومية والوطنية التي نشأت في تركيا وإيران وكردستان وأفغانستان ، وتصدى الغيارى على الدين والراسخون في العلم وأصحاب العقيدة السليمة في هذه البلاد كلها لمواجهة تلك الحركات ، وكان شعارهم تحطيم جميع هذه الأصنام العنصرية والثقافية وإعلان : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة • وأنا ربكم فاعبدون ﴾ .

فتصدى الشيخ لمواجهة هذه الحركة القومية ودحض أباطيل هذه الفكرة الباطلة بجميع إمكانياته وحذر جمع المصابين بهذه الفكرة بقوة البيان وبالغ الحجة ، ويخاطب أخا تركيا ويحذره من أن يقع فريسة هذه الفكرة لأن قوميته امتزج بالإسلام : يقول :

« احذر وانتبه بالذات فإن قوميتك امتزجت بالإسلام امتزاجًا ، لا يمكن فصلها عن الإسلام ومتى ما حاولت عزلها عن الإسلام فقد هلكت إذًا وانتهى أمرك ، ألا ترى أن جميع مفاخرك في الماضي قد سجل في سجل الإسلام وإن تلك المفاخر لا يمكن أن تمحى عن الوجود قطعًا فلا تمحها أنت من قلبك بالاستماع إلى الشبهات التي تثيرها شياطين الإنس .

إن الذي حافظ على حياة الدولة الإسلامية وكيانها رغم أن تعدادها عشرون أو ثلاثون مليونًا - تجاه جميع دول أوربا العظيمة هو هذا المفهوم النابع من القرآن الكريم الذي يحمله جيشنا ، وإذا مت فانا شهيد وإن قتلت فانا مجاهد ، هذا المفهوم رفع أبناء هذا الوطن إلى استقبال الموت باسمين مما هز قلوب الأوربيين وأوجعهم .

ترى أي شئ يمكن أن يبرز في الميدان ويبعث في روح الجنود مثل هذه التضحية والفداء وهم ذوو أفكار بسيطة وقلوب صافية .

أي عنصرية يمكن أن تحل محل هذا المفهوم العلوى ، وأي فكر غيره يمكن أن يجعل المرء يضحى بحياته وبدنياه كلها طوعًا في سبيله (١) .

وفهم الشيخ أن هذه الحركة ليست قائمة على فكرة لائقة بأي بلد أو

---

(١) كليات النور : ج/٢ ، المكتوبات : ص/٤١٤-٤٢١ .

جديرة بأي مجتمع بل إنما هي جريمة قومية تبذ جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة ، انها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدامة المعروفة في التاريخ وانها خطوة حاسمة مشئومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي ولا شك أن القومية في كل جانب من جوانب الأرض سفينة تنخرت وتفككت ألواحها وتناثرت مساميرها وتحارب ربابينها وكتب عليها الغرق ، فلا يجوز للمسلمين أن يلتجئوا إلى هذه السفينة المضطربة المشئومة وعندهم سفينة النجاة التي تسع العالم كله وتوصل الناس إلى شاطئ السلام .

الأمر الثاني : هو اختيار منهج دعوى آخر يلائم الظروف التي آلت إليها تركيا وقد اشتغل عقله في فتح الجبهات الجديدة وتهيئة مجالات الكفاح بعد عودته من معتقله وبعد ما اخفقت ثورة سعيد بيران ولقى المسلمون الغيارى على دينهم خسائر فادحة في أرواحهم ومستلكاتهم ، قد أشار عليه الشيخ أن لا يختار في هذه الأوضاع هذه الطريقة الثورية لأن ضررها لا يعود إلا على المسلمين المتحمسين ، ونُفِي الشيخ من بلده ولم يزل من منفى إلى منفى حتى جاءه الأجل ، لكنه شمّر عن ساق الجد لتجلية الفكر الإسلامي وإنعاش الروح الدينية وإعادة الثقة بالنبوة المحمدية العالمية وبالشريعة الإسلامية الغراء الصالحة لكل زمان ومكان والمسايرة مع كل عصر ومصر في الشعب التركي والجيل المفتون بسحر الحضارة الغربية ، واختار لذلك توجيه الرسائل التي تكون حاملة لفلذات كبده ودقات نفسه ، وتكون ملتهبة بالشعلة الإيمانية والغيرة

الدينية - إلى الشعب التركي أفرادًا وجماعات كأنه استوحى هذا المنهج من الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي الذي اختار هذا الأسلوب الدعوى المؤثر فنجح فيه أيما نجاح وغيّر مجرى التاريخ وحوّل البلاد التي كانت سريعة المشى إلى الردة العامة إلى احترام الشريعة وتنفيذ أحكامها .

إن رسائله لتدل دلالة واضحة على حاجة الشعب التركي خاصة والعالم الإسلامي عامة في تلك الظروف والملابسات إلى العلماء ليقوموا بإعادة الثقة بالدين وبالرسالة المحمدية الخالدة وبالشريعة الإسلامية ، وكان يتوجع على هذه الأحوال ويتألم قلبه ويبكي عليها ، وبهذه الطريقة حفظ الأمة الإسلامية التركية من خطر الردة العقائدية والفكرية والحضارية الشامل التي ظهرت بل توسعت في ارجاء تركيا وسيطرت بتلك الشخصية القوية صاحبة الكلمة النافذة والإرادة الحديدية « كمال أتاترك » وكان هذا التحول المعنوي والردة الفكرية أخطر وأدق وأرسخ جذورًا من انقراض الدولة العثمانية والانهيار السياسي .

وقام المعجبون به وتلامذته بنشر هذه الرسائل وبثها في القرى والأرياف رغم الخطر من الحكومة ، فلعبت هذه الرسائل دورًا عظيمًا في مجال إعادة الثقة بالشريعة الإسلامية وبصلاحية الإسلام لمسايرة الركب البشري بل لقيادته .

فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، واسكنه فسيح جناته .

رجال فقدناهم :

الدكتور نجيب الكيلاني الكاتب الإسلامي والأديب البارع

نبذة من حياته وأعماله الأدبية

بقلم : الدكتور حلمي محمد القاعود
أستاذ النقد الأدبي بجامعة طنطا

مساء الاثنين الخامس من شوال ١٤١٥هـ مارس ١٩٩٥م ، انتقل إلى رحاب الله تعالى ، الكاتب والأديب والشاعر الإسلامي « نجيب الكيلاني » بعد صراع طويل مع المرض الخبيث ، حيث أجري أكثر من عملية جراحية دقيقة ، إحداها في مستشفى الملك فيصل التخصصي ، وقد شاءت إرادة الله أن يختاره إلى جواره بعد عمر حافل بالجهاد من أجل دينه .

وُلد نجيب الكيلاني في قرية « شرشابة » مركز « زفتى » عام ١٩٣١م ، وتخرج في كلية الطب بجامعة القاهرة (فؤاد الأول سابقًا) أوائل الخمسينيات ، وعمل بمستشفيات الحكومة المصرية ، ولكنه تعرض لمحنة الاعتقال والتعذيب أكثر من مرة بسبب اهتمامه بالدعوة الإسلامية ، وغادر مصر بعد هزيمة ١٩٦٧م ، للعمل في البلاد العربية ومنها الكويت والإمارات ، حيث استمر في الأخيرة قرابة العشرين عامًا ، إلى أن أحيل على التقاعد عند بلوغه الستين قبل خمسة أعوام تقريبًا .

أديب متميز : كانت بدايات نجيب الكيلاني القصصية مبشرة بمولد كاتب متميز ، فحصل في منتصف الخمسينيات وأواخرها على عدد من الجوائز المهمة مثل : جائزة المجمع اللغوي ، وجائزة وزارة التربية

والتعليم ، وحظيت روايته « الطريق الطويل » باهتمام خاص ، حيث اشترت منها الوزارة كميات كبيرة لمكتبات المدارس ، وترصد الرواية قصة كفاح أسرة فقيرة من أجل تعليم ابنها وتحرز نجاحًا كبيرًا مع وجود المعوقات والصعوبات المادية والاجتماعية ، وظهرت في هذه الرواية روح إسلامية متسامحة ، تبلورت فيما بعد في بقية رواياته وقصصه .

لجأ نجيب الكيلاني إلى التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية يستقي منهما روافد أعماله الروائية والقصصية ، فكتب مجموعة من الأعمال المهمة التي قدمت التاريخ والسيرة في أسلوب قصصي جيد ، يحقق المتعة والفائدة في آن واحد ، فضلاً عن قدرته على اختيار الأحداث والشخوص التي تمثل معادلا للواقع المعاصر بأحداثه وشخوصه ، ويمكن القول : إن التاريخ كان منجما ثرًا استدعاه نجيب الكيلاني ، أو صاغه من جديد في صورة روائية ليعالج من خلاله واقعًا راهنًا موارًا بالأحداث والأحزان والآمال في لغة فنية تحقق ما يسمى بالسهل المتنع ، ومن أبرز أعماله الروائية : « نور الله » في جزئين ، قاتل حمزة ، حارة اليهود ، دم لفطير صهيون ، أرض الأنبياء ، مواكب الأحرار (نابليون في الأزهر) اليوم الموعود ، النداء الخالد ، أرض الأشواق ، رأس الشيطان ، عمر يظهر في القدس ..

وإلى جانب التاريخ والسيرة فإن نجيب الكيلاني قد غزا ميدانًا بكرا لم يتجه إليه أحد قبله ، وهو صياغة تاريخ المسلمين المظلومين في عديد من الدول والمناطق ، حيث قامت قوى الشر بالتعتيم على مأساتهم وما جرى لهم ، مثلما جرى في تركستان (الصين ، وروسيا) وإندونيسيا ،

ونيجيريا ، وإثيوبيا ، لقد تكشفت هذه المأساة مؤخرًا بسقوط الاتحاد السوفيتي والدول التابعة له ، وعرف الناس من خلال الأحداث الدامية في القوقاز والبوسنة والهرسك ، وإثيوبيا ، وارتيريا أن هناك مسلمين مضطهدين محرومين من دينهم وأشقائهم المسلمين في بلاد العرب وغيرها ، كان نجيب الكيلاني أسبق الكتاب ، ولعله الوحيد من العرب ، الذين عرفوا بهؤلآء الضحايا ، فكتب « ليالي تركستان » و « عذراء جاكرتا » و « عمالقة الشمال » و « الظل الأسود » .

الكيلاني .. و تطوير الرواية : وفي السنوات الأخيرة قفز نجيب الكيلاني قفزة فنية هائلة ، حين انتقل إلى رصد الواقع المعاصر ومعالجته روائياً ، فيما يمكن أن نطلق عليه « الواقعية الإسلامية » ، وهي مختلفة بلا ريب عن الواقعية الأوربية (الاشتراكية والانتقادية) لأنها محكومة بروح الإسلام وعدالته غير المنحازة لطبقة أو فئة .. إنها واقعية تنحاز للحق وللإنسان الذي كرمه الخالق ، وفي هذه القفزة يعالج نجيب الكيلاني قضايا المجتمع من خلال الظواهر الطارئة والغريبة التي طرأت على أهله وناسه ، والقيم المادية التي استجدت فأفسدت النفوس والقلوب والعقول ، وجعلت المقاييس الاجتماعية تبتعد عن تحقيق العدل والحرية والتسامح والرحمة ، لقد كتب نجيب الكيلاني مجموعة من الروايات الجميلة التي تستبطن الواقع والإنسان معا في رؤية إسلامية نقية ، وأسلوب متميز استطاع أن يعتمد على السرد الحي ، والحوار الشفاف ، محققًا - ربما لأول مرة - قدرة فريدة على تضمين الحوار الروائي آيات قرآنية وأحاديث شريفة دون أن يشعر القارئ بالافتعال أو

التكلف . ومن هذه الروايات : « اعترافات عبد المتجلى » و « امرأة عبد المتجلى » و « أقوال أبو الفتوح الشرقاوي » و « ملكة العنب » و «مملكة البلعوطي » و « أهل الحميدية » و « الرجل الذي آمن » ...

لقد ظل نجيب الكيلاني وفيا للأسلوب الروائي التقليدي ، ولكنه طوّره من الداخل - إذا صح التعبير - فقد استطاع مثلا أن يضمن الحوار آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة - كما سبقت الإشارة - وأخذ يختزل الوصف ، مركزًا على أبرز اللامح في الشخوص أو الأماكن أو الأحداث ، وراح يطعم وصفه بصور جزئية فيها من الطرافة والجدة أكثر مما فيها من التقليد والتكرار ، وفي الوقت ذاته استفاد بما يسمى الاسترجاع (الفلاش باك) والمونولوج (الحوار الداخلي) إلى حد ما ، وتخلى عما يمكن تسميته بالثرثرة الفلسفية أو السياسية التي تطبع أعمال كثير من الروائيين ، لقد كتب نجيب الكيلاني في اثنتين وثلاثين رواية طويلة ، مما يجعله واحدًا من أغزر كتابنا الروائيين .

وإلى جانب الرواية ، فقد كتب عددًا من المجموعات القصصية القصيرة استوحاها غالبًا من عمله طبيبا أو من البيئة القروية التي عاش فيها طفولته وشبابه أو من التاريخ ، وتقرب مجموعاته القصصية من عشر مجموعات ، منها : « موعدنا غدًا » و « العالم الضيق » و « عند الرحيل » و « دموع الأمير » و « فارس هوازن » و « حكايات طبيب » .

شاعر وباحث : وكان « نجيب الكيلاني » شاعرًا أيضًا ، له أكثر من خمسة دواوين من بينها : « أغاني الغرباء » و « عصر الشهداء » و « نحو العلا » و « كيف ألقاك » ويتسم شعره في مجمله بالبساطة والوضوح

والتعبير الفطري المباشر ، وهو غير التعبير الفج المباشر ، وتحس في شعره صياغة عمودية صافية ، ويذكر أن له ديوانًا ضائعًا حدثني عنه - يرحمه الله - فقده في فترة الاعتقال أيضًا .

وفي المجال الإبداعي كتب نجيب الكيلاني المسرحية ، وله بعض المسرحيات التي استلهمها من التاريخ ، ومنها مسرحية « على أسوار دمشق » .

أما في مجال البحث ، فقد تنوعت الموضوعات التي طرقها نجيب الكيلاني ، فقد كتب في الثقافة الإسلامية والبحوث الأدبية والقضايا الصحية والطبية التي تهم قطاعات عريضة من الناس ، ومن أهم البحوث التي نشرها بحثه عن « محمد إقبال » وقد بدأ في كثير من أفكاره ورؤاه متأثرا بالشاعر الباكستاني الكبير الذي يمثل مرحلة مهمة من مراحل الجهاد الإسلامي في العصر الحديث ، ثم بحوثه حول نظرية الأدب الإسلامي وتصوراته لهذا الأدب الذي صار اليوم حقيقة راسخة ، وله رابطة عالمية تحمل اسمه وتدعو إليه ، وتصدر مجلة فصلية تضم بين غلافيها أهم ما ينتجه الأدباء الإسلاميون المعاصرون ، ولعل كتابه « الإسلامية والمذاهب الأدبية » مع كتابه « مدخل إلى الأدب الإسلامي » من أبرز بحوثه في هذا المجال .

ويمكن القول : إن رصيده في الكتب الثقافية التي تتناول الإسلام وقضاياه لا يقل أهمية عن كتبه وبحوثه الأدبية ، فله كتب : « الطريق إلى اتحاد إسلامي » و « الإسلام والقوى المضادة » و « نحن والإسلام » و « تحت راية الإسلام » و « حول الدين والدولة » و « أعداء الإسلامية »

وغيرها ..

أما في المجال الصحي والطبي فله كتاب : في رحاب الطب النبوي ، ولعله أول من تناول هذا الموضوع الذي يكتب عنه الكثيرون الآن ، وله كتب صحية أخرى منها : « الدواء سلاح ذو حدين » و « الصوم والصحة » و « الغذاء والصحة » و « التيفوئيد » و « الدفتريا عدو الطفولة » و « مستقبل العالم في صحة الطفل » « الجدري والجديري » و « التحصين وقاية لطفلك » و « احترس من ضغط الدم » ..

إنسانية الكيلاني : وبصفة عامة فإن الإنتاج الأدبي والفكري والعلمي لنجيب الكيلاني يتسق تمامًا مع تكوينه الإنساني ، فأدبه وفكره وعلمه جميعًا تصب في نهر الخير والفضيلة والنهضة ، وهي معالم تميز شخصيته وتطبعها بطابع المودة والتسامح والإرادة الصلبة ، إنه محب للخير في كل زمان ومكان ، وباحث عنه بالوسائل المتاحة ، وكان يعي جيدًا أن الخير هو المنتصر مهما كانت قوة الشر وجبروته ، ولعل هذا يفسر سر تحول الكثير من شخصياته ، وانتقالها من عالم الجريمة إلى عالم الفضيلة ، وهو انتقال فطري عفوي تلقائي ، ويأتي بطريقة فنية محكمة لا افتعال فيها ولا تكلف ، ثم إنه كان متسامحا ولا ينظر للوراء ولا يختزن كراهية ولا عداوة لأحد ، بل إنه يجعلك في بعض الأحيان تأسى من أجل بعض الأشرار دون أن تحقد عليهم ، لقد منحته قيم الإسلام روحًا طيبة ، خصبة ، تعطي وتثمر حتى في أحلك اللحظات ، وكان يوقن في كل الأحوال أن الجزاء عند خالق العباد وليس عند العباد ، ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا أثر الإنتاج على الدعاية ، والإبداع على

الشهرة ، ومع أن كثيرين أقل منه موهبة ومكانة طارت بصيتهم الركبان الإعلامية ، فإنه لم يشعر بأدنى أسف على تجاهله في الحياة الأدبية المعاصرة ، وكان حريصًا على أن يذكر لي أن بعض رواياته تجاوزت في طبعاتها المائة ألف نسخة ، وهو رقم غير قليل إذا عرفنا أن متوسط توزيع الرواية عند المشاهير في حدود خمسة آلاف نسخة فقط .

لقد أعطى نجيب الكيلاني الكثير ، وأغدق الكثير على من يستحق ، ومن لا يستحق ، وكان مؤلما لي بصفة خاصة أن من لا يستحق تنكّر له ، ولم يف بجزء بسيط مما كان ينبغي أن يقدم للرجل ، لقد طلب أحدهم مبلغا ضخمًا ليشارك بمقالة عنه في عدد خاص تصدره مجلة إقليمية محدودة الانتشار ، ورحل الرجل دون أن يعلم بهذا الجحود الذي ليس غريبا على صاحبه ، ولكني علمت وانفعلت وتأثرت ، ومهما يكن من أمر ، فإن الأجيال التي تقرأ نجيب الكيلاني أكثر وفاء من بعض الذين أحسن إليهم وهم لا يستحقون ، فقد عبّر عن نبض الأمة ، وحمل هويتها عبر سطوره ، و واجه قضايا الناس بشجاعة الشرفاء النبلاء ، كما واجه المرض الخبيث بشجاعة المؤمن ويقين المجاهد .

نسأل الله أن يرحم نجيب الكيلاني ، وأن يدخله فسيح جناته ، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقًا ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

[مع الشكر لمجلة « المجتمع » الغراء]

إلى رحمة الله تعالى:

فضيلة الشيخ إنعام الحسن الكاندهلوي

أمير جماعة الدعوة والتبليغ، في ذمة الله تعالى

س. الأعظمي

فوجئت أوساط العلماء والدعاة بنبأ وفاة الداعية الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ إنعام الحسن ليلة العاشوراء يوم السبت، وكان النبأ بمثابة صدمة عنيفة فجعت بها القلوب وغشيت بها سحابة من الحزن على مجالس العلم والدين، والمتصلين بعمل الدعوة والتبليغ في كل مكان، «فإنّا لله وإنا إليه راجعون».

لقد تسلم الشيخ - رحمه الله - منصب الإمارة بعد وفاة فضيلة الشيخ محمد يوسف - رحمه الله - أمير الجماعة السابق، كان يتهيب من قبول الإمارة ويعتذر عنها، بحجة أنه لا يتمتع بقوة الخطابة التي هي جزء أكيد لهذا المنصب، لكن الله سبحانه أيده، و رزقه من قوة الخطاب والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ما وهبه التأثير التلقائي في الجماهير المسلمة وخاصة بمناسبة الاجتماعات الكبيرة التي كانت تُعقد من قبل الجماعة في بلدان العالم المختلفة، أضف إلى ذلك روح العلم والورع والإخلاص، وروح التفاني في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، التي كان يتمتع بها وأصبحت له غذاءًا لا يعيش بدونه، وأصبحت له شعارًا ودثارًا لا قرار له بغيرهما، ولم يكن له هم إلا أن يتحدث فيما يتعلق بشئون الدعوة، وتبليغها إلى الناس كافة، كان يشرف على النشاط الدعوي بوجه مستمر، ويهتم بتوجيه الدعوة والدعاة إلى جميع أنحاء العالم، فقد كانت الجماعات تخرج في سبيل الله ليل نهار من أقصى بلدان العالم

إلى أقصاه، حيث اتسع نطاق الدعوة في عهده اتساعًا كبيرًا وتميزت بصفة «العالمية» فكانت الجماعات تعمل في الولايات المتحدة، والصين، واليابان، وروسيا، والأقطار الأوربية، وبلدان ما وراء النهر، ودول جنوب شرق آسيا، وجميع البلدان الأفريقية والأوسترالية، فضلاً عن دول غرب آسيا والدول الإسلامية العربية، ولا أدري أن هناك دولة من دول العالم لا تكون قد وطئتها أقدام دعاة هذه الجماعة.

لقد عرف الناس بطريق هذه الجماعة آداب الحياة وتعاليم الإسلام التي تُصبغ حياة المرء بالصبغة الإيمانية المتميزة ﴿ صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ﴾ بعيدة عن جميع الملابسات المادية والمجهودات الاجتماعية ومن جميع الألوان السياسية والمطالبات والحقوق، مع حصر كل مجهود في ذات الله تعالى، والالتجاء إليه، والطلب منه، ومدّ يد الضراعة والخنوع إليه والتظاهر بالعبودية الخالصة له، دون أن تتعرض الجماعة لأنواع المشكلات التي تجتازها الأمة والاستمداد في البحث عن حلول لها من المحافل الدولية ومجالس الأمن والسلام، ولكنها تعتمد في كل ذلك على الله تعالى وتهتم بتصحيح العلاقة مع الله، ومع الناس، والتوكل على الله تعالى في جميع الشئون والظروف، وطلب المخرج منها، ومع الاتصال الكامل والخالص بالله تعالى، وبأسوة الرسول -ﷺ- والطاعة لهما ولأولي الأمر المسلمين.

سارت الدعوة على هذا النهج، وقد كان لفقيدنا الراحل أكبر نصيب في نشر هذا المفهوم الواضح للدعوة إلى الله تعالى، و وفقه الله تعالى للقيام بجولات واسعة في هذا السبيل، ودعوة العامة والخاصة إلى هذا المنهج الخالص، حتى استطاع أن يؤثر في المجتمعات العالمية، ويكسب قلوب الناس لقبول هذه الدعوة والخروج في سبيلها، وكان بإخلاصه دخل إلى مخادع العائلات الكبيرة، وأعضاء الأسر الحاكمة في الدول

الإسلامية ، وحبب إليهم الدعوة إلى الله ، والخروج في سبيل الله ، وتحمل المشاق لابتغاء وجه الله ، ولقد شهد الناس في عهده أن عددًا كبيرًا من رجال العلم والدين وأفراد العائلات الممتازة ، والأسر الحاكمة في الدول الإسلامية خرجوا في سبيل الدعوة ، وتجوّلوا في العالم من أجلها ، وهم لا يريدون من وراء ذلك إلا وأن يقتفوا آثار الصحابة والتابعين وأعلام الأمة من أهل العلم والدين ، فيؤدوا بذلك بعض الواجب الديني الذي يعود إليهم .

وكان من توفيق الله تعالى له أن ينشئ جماعة مخلصة تتبنى عمل الدعوة والتبليغ على غرار من سبق من العاملين المخلصين في هذا السبيل ، وأن ينشئ جيلاً من الدعاة ، ممن يتحملون هذه المسئولية ، ويعرّفوها إلى المسلمين ، ويؤكدوا لهم أن ما تعيشه الأمة اليوم من أوضاع سيئة ، وتعاني من متاعب ومشكلات ، إنما مردّ ذلك كله هو ضعف روح الدعوة والهداية في نفوس أفراد الأمة ، وعدم الاحتفال بأداء هذه المسئولية التي تعم جميع من ينتمي إلى هذه الأمة بالنص القرآني ، حيث قال عز من قائل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس • تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر • وتؤمنون بالله ﴾ .

على هذا الأساس ركز الفقيد الكريم كل عنايته ، وما ضيّع لحظة من حياته في غير هذه النقطة الدعوية ، وظل يعيش للدعوة وحدها ، لا همّ له بغيرها ، ويتصل بربه تبارك وتعالى يدعوه ويسأله التوفيق لأداء المسئولية الكبيرة التي أكرمه الله بها ، فكانت حياته قدوة صالحة للعاملين في هذا المجال ، وفيها أسوة لمن يأتي بعده ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين كل خير ، ورزقه من العزة والكرامة في الآخرة وتقبل أعماله الصالحة ، وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا .

وقد وجه سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي تعزية مخلصة إلى أسرة الفقيد وجميع العاملين معه في مجال الدعوة إلى الله ، كما أن فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي مدير دار العلوم لندوة العلماء أدلى ببيان تعزية في المناسبة .

ازدواجية أم تحوير

واضح رشيد الندوي

يعيش المسلمون اليوم في العالم كله في وضع غريب ، ويواجهون استراتيجية غريبة ، لم يعهدوا بها في العصور السابقة ، إنها على أصح التعابير استراتيجية التورية ، والازدواج أو الاحتيال ، وهو إطلاق ألفاظ ، وتعبيرات ، ظاهرها خير ، والمقصود منها شر ، أو الالتواء ، فيستخدم المعاندون للإسلام كلمات ، تدل في الظاهر على الإصلاح وتصحيح الأمور ، ولا تظهر صلتها بالإسلام أو بتعاليمه ، أو ثقافته ، و إنما يظهر منها أنه عمل أو قول فيه رشاد ، أو تقويم ، ولكنه في الدلالة ، يصيب الهدف المنشود ، وهو الهجوم على الإسلام أو الاساءة إلى نفوذه وبث الشكوك والشبهات فيه .

ولنأخذ مثلا مسألة حرية الفرد ، وحرية التعبير ، وحرية المرأة ، لا شك أن هذه الحريات الثلاث ، لا تصطدم مع الإسلام ، بل الإسلام هو الدين الأول الذي دعا إلى حرية الفرد ، وهو الذي أنشأ التوازن بين حرية الفرد ، وحرية المجتمع ، فلم يقيد الفرد ، ولا المجتمع ، بل وضع أصولاً تتحقق بها حرية الفرد في إطار حرية المجتمع ، بسياج من تعاليمه ومبادئه الأساسية الثابتة ، إنه رفع مكانة الفرد ، الذي كان يستعبد في النظم الأخرى ، وفي الأديان الأخرى ، ومنحه حرية التعبير والنقد ، كما قال سيدنا أبو بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - ألا إن أقواكم عندي ، الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندي القوى حتى أخذ الحق منه ، وجعل الإسلام جميع أفراد الجنس البشري سواء في الحقوق ، سواسية

كأسنان المشط . ولا يمارس الإسلام في الحقوق الإنسانية أيّ تمييز بين مسلم وغير مسلم ، من الناحية القانونية . إذا طبق الإسلام تطبيقًا حقيقيًا ، ولا يجد الباحث عن أمثلة هذه المساواة في تاريخ الإسلام صعوبة في اقتنائها ، فهي كثيرة متوافرة ، ليس في العهد الأول فحسب بل في العصور المتأخرة أيضًا وفي فترات متعددة ، وكلما وجد الإسلام سيادة لتعاليمه وجدت هذه المثل ، والأمثلة لها .

ولكن حرية الفرد في هذا العصر سلاح لضرب الإسلام والمجتمع الإسلامي ويستخدم هذا السلاح من يمارس أبشع أنواع كبت الحريات الفردية والجماعية .

يستخدم هذا السلاح في كثير من البلدان في العصر الحاضر ، ويستخدمه أصحاب القلم المتنورون الذين يطالبون بحرية نقد الإسلام وينفعلون إذا أدين أحد بالإساءة إلى الإسلام بدعوى حرية الفرد ، وهم على علم ومعرفة دقيقة أن الألوف من الأفراد في نفس البلد ، يعذبون في السجون ، ويجرى إعدام عدد منهم بتهم ملفقة ، وأن الشعب بكامله محروم من حق التعبير عن آرائه الحرة إذا تناولت نظام الحكم ، أو منهج الحكم ، أو سياسة الاقتصاد أو التعليم ، وأن الأفواه مكمّمة ، ولا يمكن أن يكتب أو يتكلم أحد إلا ما يرضى به الحكام .

إن حرية الفرد وحرية التعبير ، التي يريدونها هي مجرد حرية الثورة على الإسلام وتعاليمه ، وفي الوقت نفسه عبودية كاملة في مسائل الحياة الأخرى ، حرية نقد الإسلام ، وحتى نقد القرآن الكريم والحديث الشريف ، و في الوقت نفسه الاستسلام التام والصمت الكامل أمام كل ما يبثه الإعلام ، وينشره التعليم ، ويتفوه به الحكام وعملاؤهم .

كذلك حرية المرأة ، إذا بحثنا هذه القضية والقضايا الكامنة وراءها وجدنا أنها حرية من جانب واحد وهي حرية الخروج على التعاليم

والالتزامات الخلقية ، والعائلية ، ولكن إذا قالت امرأة أنها تريد أن تختار منهجًا خاصًا للحياة أو نمطًا خاصًا للحجاب أو النقاب من عند نفسها غير مرغمة عليها فلا حق لها في ذلك ، وإذا أراد أحد أن يأكل الحلال ، ويجتنب الحرام ، ويستعمل النزيه ، والطيب ، فهو مقيد غير حر ، ويعتبر عدوًا للحرية ، وإذا أكل الحرام ، وترك الالتزام بأي تعليم خلقي ، فهو حر ، أليس ذلك تقليد تصور خاص ، وفرض تصور خاص من بلد ، أو طبقة من الناس على بلد آخر أو طبقة أخرى من الناس .

إن هذه الأمور يجب أن تكون مطلقة ، ويكون فيها الإنسان حرًا ، إذا أريدت الحرية حقيقة ، ولكن إذا أراد أحد الخروج من المثل أو العقيدة ، فهو في منطق هؤلاء الدعاة إلى الحرية حرية ، و إذا أراد أحد أن يتبع مثلا ، أوعقيدة ، أو منهجًا خاصًا للحياة ، أو زيا خاصًا من الأزياء ، فهو غير حر ، ولا يمنح ذلك الإنسان تلك الحرية ، لأنها تتنافى مع تصورهم عن الحرية فليس ذلك في الحقيقة حرية بمعناها الصحيح .

هذا مثال واحد من التورية والازدواج الذي يسير عليه دعاة الحرية في الوقت الحاضر ، ويلاحظ هذا النوع من التفكير والعمل في مجالات كثيرة .

ومن هذا القبيل أن القوة إذا استخدمت لنشر الخير والصلاح ، وبناء خلق الإنسان ، و وضعت قوانين لها ، فهي إرهاب ، وأصولية ، وتزمت ، ولكن إذا وضعت قوانين لمنع الطرق أو المناهج التي فيها الخير والصلاح ، وتقوى القلوب ، والامتناع عن الفساد والشر و وضعت قوانين لمنع أحد من تقليد تصوره الخاص ، أو اتباع منهج خاص طبقًا لعقيدته ، وثقافته الوطنية ، فهي قوانين الحرية والتقدم ، وإذا فرض حظر على كتاب يعارض تصور الأغلبية في البلاد ، وهي مسلمة ، فهو قمع لحرية التعبير ، ولكن إذا فرض حظر على كتاب يقدم الفكرة الإسلامية وينتقد الفكرة المعادية للإسلام ، فهو حق شرعي للحكومة .

ومن أمثلة هذا التحوير أو الازدواجية أن بعض النظم فرضت الحظر على نقد بعض الجهات ، أو المعتقدات أو التصورات ، كما كان هؤلاء الأشخاص ، أو النظريات أو المعتقدات لها قدسية ، يجب الالتزام بها ، وإذا خالف أحد هذه الأمور المحظورة أدين و زج به إلى السجن ، أو عوقب عليه ، ومثل ذلك أن انتقاد المسلمين لغير المسلمين في بلاد المسلمين ممنوع لأنه يؤثر على العلاقات بين مختلف الطوائف ، أما انتقاد المسلمين والإسلام وتاريخه ، ومقدساته فهو مسموح لأنه عبارة عن حرية التعبير ، ومثال ذلك أن الناقدين لمصطفى كمال أدينوا في تركيا ، وسجنوا و اتهموا بالخيانة ، والذين تولوا ترجمة ونشر كتاب سلمان رشدي هم أحرار ، يتمتعون بحق حرية التعبير .

يقول وزير التعليم الفرنسي أن كل مواطن في فرنسا ، عليه أن يتبع منهج التعليم السائد في البلاد ، وأن يلتزم بالتقاليد والثقافة السائدة في فرنسا ، وإنه لن يسمح بالتعددية في البلاد في الثقافة ، وذلك حقه ، ولا يعترض عليه أحد ، ويقول الحكام في الهند مثلاً : إن المسلمين عليهم أن يندمجوا إلى التيار القومي ، ويقدسوا أمجاد البلاد ، ويتبعوا العادات والتقاليد والطقوس الهندية السائدة وترتفع أصوات بفرض قانون مدني موحد ، ولا يتعارض ذلك مع حرية الفرد ، ولكن إذا طالب المسلمون في بلدهم أن يتبع جميع سكان البلاد بالشريعة الإسلامية ، (وهم لا يطالبون ذلك) أو أن يكون لجميع المواطنين قانون مدني واحد ، حتى في الأمور الدينية ، وأن يحترم أمجاد الإسلام ، فذلك هو تزمت ، وأصولية ، وعسكرية في نظر المعاندين للإسلام .

أ ليس كل ذلك ازدواجية السياسة أو الاستراتيجية المتعارضة التي يسير عليها العالم كله بنظام والذي يدعو إلى الحرية ، والمساواة والعدل .

٧ ٧ ٧

أخبار اجتماعية و ثقافية :

نداء إلى أهل الخير والإحسان :

دار العلوم الإسلامية بأمريكا

٢٠١٢ - شارع مالوري - سان بيرناردينو - كاليفورنيا - ٩٢٤٠٥
الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور محمد غوث الندوي
مؤسس ورئيس دار العلوم الإسلامية بأمريكا

النواة الأولى : نحمد الله سبحانه وتعالى على ما ألقى في روعنا من فكرة تأسيس دار العلوم الإسلامية بأمريكا، وذلك في عام ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، وقد حصلنا بتوفيق من الله ثم بمساعدة بعض الأصحاب المخلصين على قطعة أرضية مساحتها ثمانية فدادين وموقعها في إقليم سان بيرناردينو من مدينة موسكوي ، كاليفورنيا (الولايات المتحدة الأمريكية) .

المرحلة الإنشائية الأولى : وخلال شهر رمضان المبارك عام ١٤٠٩هـ ، المصادف لعام ١٩٨٩م ، تم إرساء الحجر الأساسي للمسجد والمدرسة الإسلامية ، ثم فتح الله قلوب المسلمين الذين تقدموا إلينا بتبرعات سخية من أجل إكمال بيت الله تعالى والمدرسة الإسلامية ، وكم نحمد الله تعالى على أنه ساعدنا وقوّانا على إنجاز هذه المرحلة الإنشائية الأولى في ١٤/شعبان ١٤١١هـ أول مارس ١٩٩١م .

المكاسب والمنجزات : واليوم يوجد في رحاب مدرستنا أكثر من ١٠٠ طالب يستفيدون من مدرستنا الصباحية ، ومدرسة نهاية الأسبوع الإسلامية ، وفي غضون شتاء عام ١٩٩٤م فقد حوّلنا المدرسة إلى مدرسة إسلامية بالدوام الكلي ، وعدد من حضر الصفوف من الطلاب قفز إلى ١٢٠ طالب ، وخلال فترة أربع سنوات من فتح أبواب المدرسة فقد اعتنق الإسلام سبعة وعشرون شخصا بما فيهم عشر سيدات ، كما فزنا بموافقة مجلس التعليم الولائي على فتح روضة الأطفال وصفوف الدرجة الأولى ،

وسوف نفتتح هذه الصفوف في سبتمبر ١٩٩٥م - إن شاء الله العزيز - .

والحمد لله تعالى على أننا اشترينا بيتا ذا خمس غرف ملاصقا لعقارات دار العلوم الإسلامية ، وأدخلنا عليه تعديلات كاملة ، فهذا البيت جاهز لإسكان طلاب تحفيظ القرآن الكريم حتى يبرز على الساحة مهجع جديد ، وسوف نقدم تسهيلات الإقامة والإعانة ، ونفتح مدرسة إسلامية بالدوام الكلي من ٧/مارس ١٩٩٥م - إن شاء الله العزيز - .

أهدافنا في المستقبل : كم نود أن نضيف إلى الأرضية الراهنة ، البالغة مساحتها ثمانية فدانات ، مزيدًا من فدانين حتى يصبح مجموع المساحة الأرضية عشرة فدانات ، حتى تتسع لمجموعة من البرامج والمشاريع التي نريد تحقيقها في الأيام المقبلة ، وحتى نضع حدا على المنعرجات التي تداخل أرضيتنا .

المشروع الرئيسي : وفي الوقت الراهن فقد قمنا بتطوير مشروع رئيسي ولقد حظى بموافقة الإقليم ، وهو يحتوى على :

١- المسجد الجامع (في طابقين)
ويسع (١١٠٠) مصل : ٢٠٠٠٠٠/٠٠ دولار

٢- بيتان بغرفتي نوم لإقامة الإمام والمؤذن
وبيت بثلاث غرف لإقامة المدير : ٣٠٠٠٠٠/٠٠

٣-المدرسة الإسلامية للبنين : ١٠٠٠٠٠٠/٠٠

٤- الهاجع للبنين : ٧٠٠٠٠٠/٠٠

٥- تحصيل الأرضية الإضافية ذات مساحة فدانين : ٢٠٠٠٠٠/٠٠

٦- تطوير المواقع الأمامية (نحو مواقف السيارات
وأماكن الاستجمام والمدرج وما إلى ذلك) : ٣٠٠٠٠٠/٠٠

٧- تسوير حرم الجامعة : ٩٥٠٠٠/٠٠

المجموع النهائي : ٦٢٩٥٠٠٠/٠٠

والجدير بالملاحظة أن المدرسة الإسلامية تستخدم في المساء من أجل تعليم دورات العالم للكبار .

المرحلة الثانية : ونحمدالله تعالى على أنا أرسينا الحجر الأساسي لهاجع البنين في ٢٦/رجب ١٤١٥هـ-٢٩/ديسمبر ١٩٩٤م وهي توفر السكن لطلاب تحفيظ القرآن الكريم ، وإقليم سان بيرناردينو قام بتعميد الإنشاء في أول نوفمبر ١٩٩٤م ، ونحن على أهبة الاستعداد الكامل لتنفيذ البرنامج الإنشائي فور حصولنا على الصندوق المالي اللازم .

وإن الكتيب عن دار العلوم الإسلامية سيشرح لكم برامجنا من أجل التعليم والتربية الإسلامية ، وبعض هذه البرامج جارٍ على قدم وساق وبعضها يتم إخراجه إلى حيز التطبيق العملي فور اكتمال المرحلة الإنشائية .

ونعلق أوطد آمالنا بكل من يجيش صدره بخدمة الإسلام ومؤسساته العاملة ، ولا سيما في المهاجر النائية أن يقدم إلينا مساعدات سخية انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة ﴾ [سورة البقرة ، الآية ٢٤٥] ومن قوله -ﷺ- : « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » . [رواه البخاري ومسلم وأبو داؤد]

ونهائيا نهيب بكم بكل إخلاص أن تساهموا حسب إمكانياتكم المتاحة في تحقيق المشاريع الإنشائية الدينية لدار العلوم الإسلامية ، ولا شك فإنها كما تعود على الجالية الإسلامية في أمريكا بفوائد جمة كذلك تُثقل موازين حسناتكم ليوم لا ريب فيه .

٧٧٧

بيان لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة :

بمناسبة يوم القدس

أكدت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة على ضرورة وقوف الدول الإسلامية وقفة صلبة و واضحة إزاء قضية القدس الشريف واستمرار السلطات الإسرائيلية بمصادرة أراضي الفلسطينيين بما في ذلك ممتلكات الأوقاف الإسلامية وطرد السكان العرب وإحلال المستوطنين الأجانب مكانهم وغير ذلك من إجراءات تهويد المدينة المقدسة وإزالة وطمس معالمها الإسلامية .

جاء ذلك في بيان أصدرته الرابطة بمناسبة يوم القدس دعا فيه حكومات الدول الإسلامية لاتخاذ موقف موحد لحمل دول العالم والمنظمات الدولية المعنية بالضغط على الحكومة الإسرائيلية لوقف مصادرة أراضي الفلسطينيين في القدس وإعادة الأراضي التي تمت مصادرتها مؤخرًا

وقال المتحدث باسم الرابطة : إن يوم القدس مناسبة للقيام بعمل جاد وفاعل لمواجهة الغطرسة الإسرائيلية العدوانية ومنع استمرار سياستها في العمل على ضم القدس العربية الإسلامية إليها وفق ما كانت أعلنته المحكمة الإسرائيلية وبدأت بتنفيذه حكومة إسرائيل بمصادرة الأراضي العربية لتحتفل من ثم بإعلانها عاصمة للدولة العبرية في احتفالات ما يسمى بـ القدس (٢٠٠٠) .

وبين المتحدث أن هذه السياسة التي تنتهجها إسرائيل في القدس تشكل عدوانًا صارخًا على الحق العربي الإسلامي ، كما تشكل استهانة

بمشاعر العرب والمسلمين في أنحاء العالم مشيرًا إلى أن سلب أراضي القدس من أهلها الشرعيين وضمها إلى ما يسمى بأرض إسرائيل يعتبر سابقة عدوانية لا مثيل لها في التاريخ .

ودعا المتحدث حكومات العالم الإسلامي إلى التمسك بقرارات مؤتمرات القمة الإسلامية التي تمسكت بالقدس عاصمة للدولة الفلسطينية ومنها قرارات مؤتمر القمة الإسلامي السابع .

الذي عقد في المغرب العربي في شهر رجب ١٤١٥هـ الموافق لشهر ديسمبر ١٩٩٤م حيث أعلن ملوك وأمراء ورؤساء الدول الإسلامية عن تمسكهم بعروبة القدس وإسلاميتها وضرورة عودتها إلى أصحابها الشرعيين .

وذكر المتحدث بقرار مجلس الأمن الدولي (٢٤٢) الذي يمنع قوات الاحتلال الإسرائيلي من تغيير جغرافية الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م بما فيها القدس ، وقال : إن الإجراءات الإسرائيلية في القدس تعتبر خرقًا للقرارات الدولية كما أنها تنسف المسيرة السلمية من قواعدها ، ولا سيما وإن الإسرائيليين كرروا إعلان تمسكهم بهذه المدينة الإسلامية عاصمة للدولة العبرية ، وذكر المتحدث كذلك بقرارات ندوة القدس مدينة السلام التي عقدت في القاهرة مؤخرًا ، والتي رفضت الإدعاءات الإسرائيلية وطالبت بعودة القدس إلى أصحابها الشرعيين ، وحذر المتحدث من أن العدوان الإسرائيلي المستمر على القدس سيهدد السلام والأمن في المنطقة وأضاف أن على إسرائيل أن تكفّ عن العبث بالحقوق العربية المشروعة وأن توقف سياستها العدوانية على القدس والمسجد الأقصى والأراضي العربية ، وأن تعيد ما تمت مصادرته

للمواطنين الفلسطينيين لأنهم هم أصحاب الأرض الشرعيون .

ودعا المتحدث حكومات العالم الإسلامي إلى المزيد من تقديم الدعم لمدينة القدس وما فيها من مقدسات إسلامية أسوة بموقف المملكة العربية السعودية مشيرًا إلى أن ذلك يمنح سكانها العرب القوة بسبب تضامن الحكومات الإسلامية مع قضيتهم ، ويساهم في المحافظة على الوجه العربي والإسلامي لهذه المدينة المقدسة .

و ، بمناسبة العام الهجري الجديد :

بمناسبة مطلع العام الهجري الجديد ١٤١٦هـ أصدرت الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بيانًا أعربت فيه عن آمال وتطلعات الشعوب الإسلامية الممثلة في الرابطة في أن يتحقق لهذه الشعوب التضامن الذي تتطلع إليه وأن يتحقق للأقليات الإسلامية المضطهدة تجاوز المشكلات والمتاعب التي تعاني منها .

وقال المتحدث الرسمي باسم الأمانة العامة للرابطة إنه لجدير بنا ونحن نستقبل عامًا جديدًا أن نستلهم من دروس الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم معاني الحكمة والصبر ودقة التخطيط معتمدين قبل كل شئ على الله سبحانه وتعالى مستلهمين منه الرشد والهداية .

وقال المتحدث باسم الرابطة إن في دروس الهجرة النبوية معاني عظيمة تعلمت منها أمتنا على مدى تاريخها عبرًا قيمة ، وأضاف : إن المسلمين اليوم ما زالوا بأمس الحاجة للاستفادة من تلك الدروس التي أثبتت أن لا عزة لهم إلا بالعودة إلى الله والتمسك بمبادئ الاخوة والتضامن والتكافل والتعاون لإنجاز كل عمل صالح ومفيد ، عملاً ، بقوله تعالى : ﴿ وتعاونوا

على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ .

وأكد المتحدث انه لا بديل للأمة المسلمة لتستعيد عزتها إلا بتطبيق منهج الإسلام والعمل بشريعته في جميع مجالات الحياة وفي سائر البلدان الإسلامية وهي تؤمن بالله واحد ، ودين واحد يعصمها من التفرق ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا ﴾ .

وأوضح أن المسلمين بتطبيقهم شريعة الله يقدمون للعالم كله نموذجًا إنسانيًا رفيعًا للحكم ، ويمكن لهذا النموذج إذا تم تطبيقه أن يسهم في تخليص العالم من مشكلاته التي يعاني منها وأزماته التي ضاق بها نتيجة القلق والتوتر وانتشار المخدرات وتفكك الأسرة والانحلال الخلقي وشيوع الأمراض الفتاكة ، وبيّن المتحدث ان المسلمين هم بهذا الدين الذي يعتنقونه رسل إصلاح وإنقاذ للبشرية مما تعانيه اليوم وبين أيديهم مبادئ عظيمة تستطيع أن تسهم بها في حل المشكلات التي تعاني منها البشرية وتبين لهم طريق الرشد والهدى وسبيل الخير كما في الخطاب الإلهي : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ .

وأكد المتحدث ان هذه الأمة التي آمنت بالله ربًا وبالقرآن منهجًا وبالرسول العظيم محمد -ﷺ- أسوة ، يجب أن ترفض أسباب الاختلاف والتفرق والتنازع ، لأن هذه المواقف السلبية تضعف الأمة وتغري بها الأعداء ، وأهاب بالأشقاء في أفغانستان أن يعمدوا إلى لغة الحوار السلمي في حل خلافاتهم بعيدًا عن استخدام السلاح لأن دم المسلم على المسلم حرام ولأن الاقتتال بين المسلمين هو من أشد المحرّمات .

وأشار المتحدث إلى أوضاع بعض الجماعات الإسلامية المضطهدة في

عدد من البلدان والمواقع مثل كشمير التي يعاني شعبها من اضطهاد الجماعات الهندوسية المتطرفة التي تمارس صنوف الإرهاب والقهر ضد شعب كشمير حتى أحرقت مساجده وهدمت منازله وانتهكت حرماته . كما أشار إلى قضية مسلمي البوسنة والهرسك التي لا تزال تتعرض لعدوان الصرب رغم أن الأمم المتحدة أصدرت عشرات القرارات فيما يتعلق بيوغوسلافيا السابقة ولم ينفذ منها سوى قرار حظر السلاح على المسلمين . وذكر المتحدث بغزو القوات الروسية لبلاد الشيشان وقصف المدن والقرى الآمنة وتشريد أهلها وتشتيت العائلات المسلمة بعيدًا عن أوطانها في عمليات نفذت فيها القوات الروسية عمليات القتل الجماعي المحرمة دوليًا . وأوضح المتحدث أن المملكة العربية السعودية ضربت مثلاً كريمًا في إغاثة الاشقاء المنكوبين في هذه البلاد . كما أن الرابطة قدمت المعونات الإغاثية المكنة عن طريق هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية بالمملكة العربية السعودية وأهاب بحكومات العالم الإسلامي أن تقتفى أثر المملكة في نجدة الاشقاء المضطهدين ليتحقق التضامن الإسلامي مما يخفف من آلامهم ويساعدهم على تجاوز محنهم .

وعن قضية القدس الشريف والمقدسات الإسلامية في فلسطين المحتلة ، قال المتحدث باسم الرابطة إن على الأمة أن تبذل قصارى جهدها لإيقاف انتهاكات سلطات الاحتلال وإيقاف تهويد مدينة القدس وتغيير معالمها الإسلامية . ودعا المتحدث الدول والمنظمات والمؤسسات الإسلامية إلى بذل مساعيها لإنقاذ مدينة القدس والمطالبة بإعادة السيادة الإسلامية على هذه المدينة المقدسة .

٧٧٧

رئيس وزراء الهند يؤكد للنجرامي بعدم تنفيذ القانون المدني الموحد

البروفيسور محمد يونس النجرامي

عقد البروفيسور محمد يونس النجرامي مستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية ورئيس جمعية المثقفين المسلمين في الهند لقاءًا مع رئيس وزراء الهند السيد نرسمها راؤ في ٢٢/٥/١٩٩٥م في مدينة دلهي وأخطره بمشاعر المسلمين بشأن تعليمات محكمة الاستئناف لتشريع القانون المدني الموحد على جميع سكان الهند بدون استثناء والتي بدورها أرسلت موجة غضب واستنكار بين المسلمين في جميع أنحاء الهند . وخلال المقابلة أكد رئيس الوزراء للبروفيسور النجرامي بأن الحكومة الهندية لن تقوم بتنفيذ القانون المدني الموحد على المسلمين وبالتالي لا أساس للخوف على أحوالهم الشخصية الإسلامية . وشرح النجرامي لرئيس الوزراء بعض القضايا والمشاكل التي يواجهها المسلمون و وعد رئيس الوزراء باتخاذ الإجراءات اللازمة نحوها.

وعلى صعيد آخر تم اللقاء بين البروفيسور محمد يونس النجرامي والوزير المركزي للأمن الداخلي السيد راجش پائلت وخلال المقابلة أعرب النجرامي عن شكره وتقديره العميق على جهوده المتواصلة لانهاء القانون المشئوم (تاڈا) والذي كان وسيلة هامة بيد الشرطة الهندية لإلقاء القبض على المسلمين وتعذيبهم في السجون الهندية وخلال اللقاء الذي امتد ساعة كاملة أخبر البروفيسور النجرامي راجيش پائلت بمشاعر المسلمين بشأن القانون المدني الموحد . وقال النجرامي للوزير المركزي بأن العناصر المعادية للوطن والشعب دائمًا تبحث عن المشاكل والقضايا لإثارة عواطف المسلمين والعبث بها والتي لن تعود بالخير على البلاد . وقال النجرامي للسيد راجيش پائلت : إن المسلمين في الهند يتمسكون

بالشريعة الإسلامية مباشرة وبدون واسطة ولا يهمهم ما جرى من إدخال بعض التعديلات في الأحوال الشخصية الإسلامية في بعض البلدان الإسلامية . وأضاف النجرامي قائلاً للوزير الداخلي بأن جميع الأقليات في العالم لديهم حساسية زائدة لدينهم وثقافتهم وحضارتهم وبالتالي يجب مراعاة هذه المشاعر لصالح البلاد . واستمع الوزير المركزي للأمن الداخلي إلى شرح النجرامي لبعض القضايا والمشاكل التي يواجهها المسلمون و وعد بأنه لن يقصر أبدًا في أداء واجباته نحو الأقليات الموجودة في الهند .

صحيفة أسبوعية إسلامية باللغة الهندية

حققت جمعية المثقفين المسلمين في الهند نجاحًا باهرًا بعد جهود مضنية في إصدار صحيفة أسبوعية إسلامية باللغة الهندية تحمل اسم «هم أور وه» يعني (نحن وهُم) والتي تصدر صباح يوم الاثنين كل أسبوع . والصحيفة سوف تخدم القضايا الإسلامية وتسد فراغا هائلاً في مجال الإعلام الهندي وتتخذ على عاتقها مسئولية الدعوة الإسلامية بين المنبوذين والطبقات المتخلفة من الهندوس وتقوم بعرض تعاليم الإسلام في صورتها الصحيحة في ضوء الكتاب والسنة .

ورئيس التحرير لهذه الصحيفة الهندية هو البروفيسور محمد يونس النجرامي رئيس الجمعية ، الذي يلعب دورًا هامًا في مجال الثقافة والإعلام حيث يكتب زاويته « نافذة على الهند » في صحيفة الرائد الصادرة من ندوة العلماء لكناؤ ، ويكتب زاويته الأسبوعية حول العالم الإسلامي في صحيفة « قومي آواز » وتقوم الصحف الهندية في مدينة بومبائ ، حيدرآباد وبنگلور ، وپتنا ، دلهي وكلكتا الأخرى بنقل هذه الزاوية على صفحاتها وبالتالي أكثر من مليون شخص يطلعون على أخبار العالم الإسلامي الصحيحة كل أسبوع .

وجمعية المثقفين المسلمين تعتزم إصدار مجلة باللغة الأردية والإنجليزية قريبًا لتحقيق أهدافها وغاياتها .